الفصل الرابع

الهمز والتسهيل فى القراءات القرآنية

تمهيد فى القراءات (تأصيل وتأريخ) : -

القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز ، والقراءات هى اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى كتابة الحروف ، أو كيفيتها ، من تخفيف وتثقيل وغيرهما[1] . والقراءات أيضًا هى الوجوه المختلفة التى سمح النبى ﷺ بقراءة نص المصحف بها قصدًا للتيسير ، والتى جاءت وفقًا للهجة من اللهجات العربية[2] . واختلاف القراءات وتنوعها كان رحمة من الله بعباده ، وتيسيرًا عليهم فى حفظ القرآن ، وتلاوته ، واستنباط أحكامه ، وصدق الله القائل ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ (القمر:١٧) يسره على قارئيه ، والمرتلين لآياته ، فلهم أن يقرءوه بلهجاتهم التى جرت عليها ألسنتهم ولا يمكنهم النطق بغيرها ؛ وذلك لأن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، كانت لغاتهم مختلفة ، وألسنتهم شتى ، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرف إلى حرف آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ، ولا بالتعليم والعلاج ، ولا سيما الشيخ والمرأة ، ومن لم يقرأ كتابًا ، كما أشار إليه ﷺ ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم ، والانتقال من ألسنتهم ، لكان من التكليف بما لا يستطاع[3] . . .

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة فى كتابه المشكل : فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ بأن يُقرئ كل أمة بلغتهم ، وما جرت عليه عادتهم ، فالهذلى يقرأ (عتى حين) يريد (حتى) هكذا يلفظ بها ويستعملها ، والأسدى يقرأ

---

(١) البرهان فى علوم القرآن ص ٣١٨ ج١.

(٢) البحث اللغوى عند العرب د. أحمد مختار ص٥.

(٣) النشر فى القراءات العشر ج١ ص٢٢.

تِعْلَمُون ، وَنَعْلَم ، وَتِسْوَد وجوه ، وألم إِعْهَدْ إِليكم ، والتميمى يهمز ، والقرشىّ لا يهمز ...»[1].

فالقراءات القرآنية إذن هى المرآة الصادقة التى تعكس الواقع اللغوى الذى كان سائدًا فى شبه الجزيرة قبل الإسلام ، وهى أصل المصادر جميعًا فى معرفة اللهجات العربية[2].

ولما كان الهمز والتسهيل من اللهجات التى جرت على ألسنة القبائل العربية ، رخص الرسول ﷺ ، فى أن يقرأ القرآن بأحدهما أو بهما معًا ، يُفهم ذلك من حديث الرسول «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، فاقرءوا ما تيسر منه» قال الإمام الرازى فى تفسير هذا الحديث (إن الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه . . . . والوجه السابع عنده : اختلاف اللغات من فتح وإمالة ، وترقيق وتفخيم ، وتحقيق وتسهيل ، وإدغام وإظهار ، ونحو ذلك[3] ، وقال الحافظ أبو عمرو الدانى : «ومنها اختلاف اللغات كقولك : جبريل بكسر الجيم من غير همز ، وبفتحها كذلك ، وجَبْرئل : بفتح الجيم والراء ، مع الهمز من غير مدّ ، وبالهمز والمدّ ، وميكال بغير همز ، وميكاءل بالهمز من غير ياء ، وبالهمز والياء ، وإبراهيم بالياء ، وإبراهام بالألف ، وأرجئه بالهمز ، وأرجه بغير همز ، وكذلك مُرْجوْن ومرجئون ، وترجى وترجئ ، ويضاهئون ويضاهون ، ويأجوج ومأجوج ، وياجوج وماجوج ، والتناوش والتناؤش ، وموصده ، ومؤصدة ، بالهمز وبغير همز ، وكذلك ما أشبهه . . ومنها التصرف فى اللغات ، نحو الإظهار والإدغام ، والمدّ والقصر ، والفتح والإمالة بين بين ، والهمز وتخفيفه بالحذف والبدل وبين بين ، والإسكان والروم والإشمام عند الوقف على أواخر الكلم ، والسكوت على الساكن قبل الهمز وما أشبه ذلك . . . وقد ورد التوقيف عن النبى ﷺ ، بهذا الضرب من الاختلاف ، وأذن فيه لأمته ، ومن ذلك حديث حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ

---

(١) النشر فى القراءات العشر ج١ ص٢٢.

(٢) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص٨٣.

(٣) النشر ج١ ص٢٧.

(اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها) قال أبو عمرو الدانى : ولحونها وأصواتها مذاهبها وطباعها[1].

فالهمز والتسهيل إذن من الأحرف السبعة التى نزل القرآن بها ، والتى أبيح للقراء أن يقرءوا بها ، وهما أيضًا مما تواترت به القراءات القرآنية ، إذْ « كيف يكون ما أجمع عليه القراء أمما بعد أمم غير متواتر ، وإذا كان المدّ وتخفيف الهمز ، والإدغام غير متواتر على الإطلاق فما الذى يكون متواترًا[2]؟؟؟ » .

أما عن تاريخ القراءات « فيرجع عهد القراء الذين أقام الناس على طرائقهم فى التلاوة ، إلى عهد الصحابة ﷺ ، فقد اشتهر بالإقراء منهم سبعة : عثمان ، وعلى ، وأبى ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعرى ، وعنهم أخذ كثير من الصحابَة ، والتابعين فى الأمصار ، وكلهم يسند إلى رسول الله ﷺ[3] . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يختارون من القراءات التى سمعوها ما وافق لهجتهم ، ومن هنا كانت القراءات مرجعها الرواية والنقل عن رسول الله ﷺ[4] .

حتى إذا اختلف الناس فى القراءات إلى حد أن « أنكر بعضهم على بعض ما كان يقرؤه من غير مصحفه زاعمًا أنه ليس من القرآن[5] » ، بل إلى حد أن « كفر بعضهم بقراءة بعض[6] . . . ـ كتب عثمان بن عفان المصاحف ، وقرأ أهل كل مصر بما فى مصحفهم ، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه من فى رسول الله ﷺ ، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبى ﷺ : فكان (بالمدينة) ابن المسيّب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبدالعزيز ، وسليمان ، وعطاء[7]، ومعاذ ابن الحارث المعروف بمعاذ القارئ ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وابن شهاب الزهرى ، ومسلم بن حبيب ، وزيد بن أسلم .

---

(١) جامع البيان فى القراءات السبع (ورقة ٧) مخطوط بدار الكتب ٣ م قراءات ، وانظر المطبوع منه جـ١ صـ ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ورقة (٢٤).

(٣) إعجاز القرآن للرافعى ص٥١.

(٤) أثر القراءات القرآنية فى الدراسات النحوية ص٣٤.

(٥) المصاحف للسجستانى ص٦.

(٦) المرجع السابق ص٢١.

(٧) هو عطاء بن يسار.

(وبمكة) عبيد بن عمير ، وعطاء[1] ، وطاووس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن أبى مليكة .

(وبالكوفة) علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وعمرو بن شرحبيل ، والحارث بن قيس ، والربيع بن خثعم ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبدالرحمن السلمى ، وزيد بن حبيش ، وعبيد بن نضلة ، وأبو زرعة بن عمر بن جرير ، وسعيد ابن جبير ، وإبراهيم النخعى ، والشعبى .

(وبالبصرة) عامر بن عبد قيس ، وأبو العالية ، وأبو رجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، ومعاذ ، وجابر بن زيد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة .

(وبالشام) المغيرة بن أبى شهاب المخزومى صاحب عثمان بن عفان فى القراءة ، وخليد بن سعد صاحب أبى الدرداء .

ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية ، حتى صاروا فى ذلك أئمة يقتدى بهم ، ويرحل إليهم ، ويؤخذ عنهم ، أجمع أهل بلدهم على تلقى قراءاتهم بالقبول ، ولم يختلف عليهم فيها اثنان ، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم فكان : بالمدينة : « أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شيبة بن نصاح ، ثم نافع ابن أبى نعيم .

وبمكة : عبد الله بن كثير ، وحميد بن قيس الأعرج ، ومحمد بن محيصن .

وبالكوفة : يحيى بن وثاب ، وعاصم بن أبى النجود ، وسليمان الأعمش ، ثم حمزة ، ثم الكسائى .

وبالبصرة : عبد الله بن أبى إسحاق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، ثم عاصم الجحدرى ، ثم يعقوب الحضرمى .

وبالشام : عبد الله بن عامر ، وعطية بن قيس الكلابى ، وإسماعيل بن عبد الله ابن المهاجر ، ثم يحيى بن الحارث الزمارى ، ثم شريح بن يزيد الحضرمى[2] .

---

(١)هو عطاء بن أبى رباح أبو محمد القرشى المكى أحد الأعلام وردت عنه الرواية فى حروف القرآن وروى القراءة عن أبى هريرة ت ١١٥هـ (غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٥١٣).

(٢) انظر النشر فى القراءات العشر ج١ ص٨، ص٩.

وقد اشتهر من هؤلاء الأئمة سبعة قراء ، هم نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ابن العلاء ، وعبدالله بن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وقد عرفت قراءاتهم بالقراءات السبع[1]، فمن الذى كان يهمز منهم؟؟ ومن الذى كان يسهل؟؟ ولماذا يهمز بعضهم ويسهل الآخرون؟؟

ولكى نجيب على السؤال الأول ينبغى أن نعرض فى سرعة وإيجاز لأبواب الهمز كما وردت فى كتب القراءات ، وبعد ذلك سوف يكون لنا تعليق ومناقشة ، ثم يتلوهما التّعليل .

* * *

أبواب الهمز فى كتب القراءات : -

أولاً : الهمز المفرد الساكن : وهو يأتى بعد ضَمٍّ فى كلمة نحو يؤمنون ، والرؤيا . . أو يكون الهمز فى كلمة والضم فى كلمة سابقة عليه نحو يقول ائْذن لى . . ويأتى بعد كسر كذلك نحو بِئْس وجِئْت . . ، ونحو الذى ائْتمن . . ويأتى بعد فتح كذلك نحو فأْتوهن ويأْلمون . . ، ونحو الهدى ائْتنا . .

وهذا الضرب ـ إذا لم يعرض فيه السكون للوقف ، أو لم يتحرك الساكن فيه لالتقاء الساكنين ـ قرأه ورش من طريق الأصبهانى بإبدال الهمزة حرف مد من جنس ما قبلها فى الأسماء والأفعال، سواء أكانت الهمزة الساكنة فاء أم عينًا أم لامًا ، ولم يستثن من هذا الباب إلا خمسة أسماء ، هى : البأس والبأساء ، واللؤلؤ ، ورئيا ، والكأس ، والرأس . وخمسة أفعال وهى : جئت وما جاء منه ، ونبئ وما جاء من لفظه ، وقرأت وما ورد من مادته ، ويهئ وما جاء منه ، وتؤوى وتؤويه[2].

وقرأ أبو عمرو من روايته بإبدال جميع ما تقدم ، إلا ما سكن للجزم نحو إن يشأ ، إن نشأ ، ننسأها ، تسؤهم ، تسؤكم ، ويهيئ لكم ، أم لم ينبأ ، أو ما سكن

---

(١) يلاحظ أننا سوف نعرض أساسًا للقراءات السبع، وما يأتى من غيرها يكون لإتمام الفكرة وإيضاحها.

(٢) تقريب النشر فى القراءات العشر ص٣٠ (بتصرف) وإتحاف فضلاء البشر ص٥٣ بتصرف.

للبناء ، نحو أنبئهم ، أرجئه . . . أو ما كان إبداله أثقل من همزه ، نحو تؤوى إليك التى تؤويه ، وإلا ما أدى إبداله إلى الالتباس بمعنى آخر نحو رِئيًا ، أو ما أدى إلى الخروج من لغة إلى لغة أخرى نحو مؤصدة[1].

وقرأ أبو جعفر جميع هذا الضرب بالإبدال إلا فى كلمتين هما : أنبئهم بالبقرة ، ونبئهم بالحجر ، وكان يُدغِم مع الإبدال فى لفظى (رؤيا والرؤيا) ، ولا يُدغِم فى لفظى تؤوى وتؤويه[2].

أمّا بقية القراء الأربعة عشر ، فلم يرد عنهم الإبدال إلا فى ألفاظ قليلة ، فالكسائى وكذا خلف كانا يبدلان فى لفظ (الذئب) ، وكلهم كان يبدل فى لفظى (يأجوج ومأجوج) ما عدا عاصمًا والأعمش ، وكلهم كان يقرأ لفظ (ضيزى) بغير الهمز إلا ابن كثير ، ووافق ابن ذكوان أبا جعفر فى إبدال وإدغام (رئيا) ، وكلهم كان يبدل (مؤصدة) إلا أبو عمرو وحفص وحمزة وكذا يعقوب وخلف[3] .

ثانيًا : الهمز المتحرك المسبوق بمتحرك ، وهو أنواع :

(١) مفتوح بعد ضمّ : وهذا الضرب إن كان فاء من الفعل ، قرأه ورش ، وكذا أبو جعفر بالإبدال واوا ، نحو يؤاخذ ، ويؤيد . . ، وإن كان عينا من الفعل قرأه ورش من طريق الأصبهانى بالإبدال فى حرف واحد ، وهو الفؤاد ، والباقون بالتحقيق فى ذلك كله ، وإن كان لاما من الفعل ، قرأه حفص بإبدالها واوا فى هزؤا المنصوب ، وفى كفؤا بالإخلاص[4] .

(٢) مفتوح بعد كسر : وهذا يقرؤه أبو جعفر بالإبدال ياء فى (رئاء الناس . خاسئا ، ناشئة الليل ، شانئك ، استهزئ فى الأنعام والرعد والأنبياء . ليبطئن بالنساء . وفي قُرِئ بالأعراف والانشقاق . لنُبوئهم فى النحل والعنكبوت . خاسئا ، الخاطئة ، ملئت ، ومائة وفئة ، وتثنيتهما ، والباقون بالتحقيق فى الجميع[5] ، وقد جاء هذا الإبدال عن ورش من طريق الأصبهانى فى عدة مواضع

---

(١) تقريب النشر فى القراءات العشر ص٣٠ (بتصرف) وإتحاف فضلاء البشر ص٥٣ بتصرف.

(٢) انظر الإتحاف ص٥٤.

(٣) راجع الإتحاف ص٥٤.

(٤) راجع الإتحاف ص٥٥.

(٥) راجع الإتحاف ص٥٥.

(خاسئا ، ملئت ، ناشئة ، فبأى حيث وقع بالفاء ، وأبدل من طريق الأزرق (لئلا) فى البقرة والنساء والحديد[١].

(٣) مضموم بعد كسر وبعده واو ، نحو يستهزئون والصابئون . . ، وهذا الضرب قرأه نافع بحذف الهمزة ، وضم ما قبلها لأجل الواو ، . . . وقرأ أبو جعفر جميع الباب كذلك . . ، والباقون بالهمز وكسر ما قبله[٢] .

(٤) مضموم بعد فتح وبعده واو ، نحو ولا يطؤون ، أن تطؤوهم ، لم تطؤوها ، وهذه الألفاظ كان أبو جعفر يقرؤها بحذف الهمزة ، وإسكان الواو ، وإبقاء ما كان قبلها مفتوحًا على فتحه[٣] . وانفرد الحنبلى عن هبة الله بتسهيل (رءوف) حيث وقع ، وانفرد الهذلى عن أبى جعفر بتسهيل (تبوّءوا الدار) . . والباقون بالهمز[٤].

(٥) مكسور بعد كسر وبعده ياء وهذا الضرب قرأه نافع وكذا أبو جعفر بحذف الهمزة فى (الصابئين) بالبقرة والحج ، وزاد أبو جعفر حذف الهمزة من متكئين والخاطئين ، والمستهزئين حيث وقع ، والباقون بالهمز[٥] .

(٦) مفتوح بعد فتح : وهذا الضرب قرأه قالون وورش من طريق الأصبهانى وكذا أبو جعفر بالتسهيل بين بين فى (أرأيت) حيث وقع بعد همزة الاستفهام نحو أرأيت ، أرأيتم ، أريتكم ، أفرأيت . . . وعليه الجمهور وهو الأقيس ، وقرأ الكسائى بحذف الهمزة فى ذلك كله ، والباقون بالتحقيق [٦] .

(٧) مكسور بعد فتح : وفى هذا الضرب انفرد الحنبلى عن هبة الله عن ابن وردان (راوى أبى جعفر) بتسهيل الهمزة فى (تطمئن) ، بئيس) حيث وقع ولم يروه غيره[٧] .

---

(١) راجع ص ٣٢ من تقريب النشر.
(٢) راجع الإتحاف ص٥٦.
(٣) انظر السبيل الميسر ص٨٠، ١٢٣، ١٣٧.
(٤) راجع تقريب النشر ص ٣٢.
(٥) الإتحاف ص٥٦.
(٦) الإتحاف ص٥٦.
(٧) تقريب النشر ص٣٣.

ثالثًا : الهمز المتحرك المسبوق بساكن وهو أنواع :

(١) ما يكون قبله ألف : نحو (إسرائيل) حيث وقع ، (كأيِّن) حيث وقع الذى كان يقرؤه أبو جعفر كائن بألف لينة بعد الكاف ، و(ها أنتم) فى موضعى آل عمران والنساء و(اللاء) حيث وقع . . وهذه الأربعة قرأها أبو جعفر بتسهيل الهمزة بين بين ، وكذلك قرأ نافع وأبو عمرو (ها أنتم) فى المواضع المذكورة ، وقرأ ورش وأبو عمرو والبزى (اللاء) ، وللأخيرين وجه آخر ، هو إبدال الهمزة ياء ساكنة[١] . والباقون بالهمز .

(٢) ما يكون قبله ياء ، وهى مدّة زائدة ، نحو (النسىء) وهذا اللفظ قرأه ، أبو جعفر ، وورش من طريق الأزرق بالإبدال والإدغام ، والباقون بالهمز[٢]. وقرأ أبوجعفر أيضًا (برىء وبريئون) و (هنئا مريئا) بالبدل مع الإدغام بخلف عنه[٣].

(٣) ما يكون قبله واو وهى مدة زائدة ، نحو قروء ، وهذه خففت بالإبدال والإدغام فيما حكاه ابن خالويه عن الزّهرى[٤] . وهو قارئ مدنى كما سبق فى أول الفصل .

(٤) ما يكون قبله ساكن صحيح غير ميم الجمع : ومثل ذلك كان أبو جعفر يقرؤه بنقل حركة الهمزة وحذفها ، فى لفظى (الآن) و(من أجل) وفى الأخير كان يكسر حركة الهمزة المنقولة فينطق (منِ جْل ذلك) [٥] .

وقد اختص ورش من طريقيه بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، إذا كان الساكن آخر كلمة ، وكان الهمز فى أول كلمة أخرى سواء كان ذلك الساكن تنوينًا أو لام تعريف أو غير ذلك ، فيتحرك الساكن بحركة الهمزة ، وتسقط الهمزة نحو متاع إلى حين ، الآخرة ، من آمن ، فحدِّثْ ألم نشرح ، ابنى آدم ، خَلَوْا إلى الأرض ...[٦]، وقد جاء النقل فيما وقع من كلمة واحدة فى كلمات مخصوصة وهى

---

(١) الإتحاف ص٥٨.
(٢) الإتحاف ص٥٨.
(٣) المرجع السابق .
(٤) مختصر فى شواذ القراءات ص١٤.
(٥) السبيل الميسر ص٢٩، ص٦٦.
(٦) راجع تقريب النشر ص٣٦.

القرآن فى قراءة ابن كثير ، وسلْ وما جاء من لفظه أمرا ، فى قراءة ابن كثير والكسائى وخلف بشرط أن يسبق بالواو أو بالفاء ، وملء الأرض فى قراءة ورش من رواية الأصبهانى وابن وردان ، وردءا ، يصدقنى فى القصص ، فى قراءة نافع وأبى جعفر ، والأخير يبدل من التنوين ألفًا فى الوصل والوقف[1].

رابعًا : أحكام الهمزتين فى كلمة ، وهى كالآتى[2] : -

(١) إن كانت الأولى للاستفهام والثانية للقطع وهما مفتوحتان نحو (أأنذرتهم) أو الثانية مكسورة نحو (أإذا) أو الثانية مضمومة نحو (أؤ لقى) . . فنافع وابن كثير يسهلان الثانية بين بين من غير فصل بين الهمزتين وأبو جعفر وأبو عمرو يسهلان الثانية ويفصلان بين الهمزتين بألف ، وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى يحققون الهمزتين من غير فصل بينهما .

(٢) إن كانت الأولى للاستفهام والثانية للوصل ، وهما مفتوحتان نحو (آلذكرين) أو الثانية مكسورة نحو (اصطفى البنات) فالقراء السبعة أجمعوا على تسهيل الثانية من المفتوحتين بيْن بيْن أو بالإبدال ألفًا خالصة ، وأجمعوا على حذف همزة الوصل المكسورة ، وكذلك أبو جعفر .

(٣) إن كانت الأولى لغير الاستفهام والثانية مكسورة نحو (أئمة) فنافع وابن كثير ، وأبو عمرو ، يسهلون الثانية مع القصر ، وأبو جعفر يسهل ويدخل ألفًا بين الهمزتين أو يبدل ياء ، وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى يحققون الهمزتين مع القصر أيضًا . أما إن سكنت الثانية نحو آدم وإيمان ، فالقراء السبعة أجمعوا على إبدال الثانية بحركة ما قبلها ، وكذلك أبو جعفر .

---

(١) راجع تقريب النشر ص٣٧.

(٢) راجع تقريب النشر ص٢٣ وما بعدها ، وإتحاف فضلاء البشر ص٤٤ وما بعدها.

خامسًا : أحكام الهمزتين من كلمتين[1] :

(١) إن اتفقت الهمزتان فى الحركة بالكسر نحو (هؤلاء إن كنتم) أو بالفتح نحو (جاء أحدكم) أو بالضم نحو (أولياء أولئك).. فورش يحقق الأولى ويسهل الثانية بين بين أو يبدلها حرف مدّ خالصًا ، أما قنبل فله مثل ورش وله وجه آخر كأبى عمرو وهو حذف الأولى فى الأنواع الثلاثة مبالغة فى التخفيف ، وأما قالون ومثله البزى فله حذف الأولى من المفتوحتين ، وتسهيلها بين بين من المكسورتين والمضمومتين ، وأما أبو جعفر فيسهل الثانية بين بين لا غير .

(٢) وإن اختلفت الحركتان : -

(أ) فكانت الأولى مفتوحة والثانية مكسورة نحو (زكرياءَ إذ نادى) فنافع وابن كثير وأبو عمرو يحققون الأولى ، ويسهلون الثانية كالياء (بين بين) وكذلك أبو جعفر .

(ب) وإن كانت الأولى مفتوحة والثانية مضمومة نحو (كلما جاءَ أُمة رسولها) فالثلاثة يحققون الأولى ويسهلون الثانية كالواو ، وكذلك أبو جعفر .

(جـ) وإن كانت الأولى مضمومة والثانية مفتوحة نحو (السفهاءُ أَلا) فالثلاثة يحققون الأولى ، ويبدلون الثانية واوًا محضة وكذلك أبو جعفر .

(د) وإن كانت الأولى مكسورة والثانية مفتوحة ، نحو (من الشهداء أَنْ) فالثلاثة يحققون الأولى ، ويبدلون الثانية ياء محضة ، وكذلك أبو جعفر .

(هـ) وإن كانت الأولى مضمومة والثانية مكسورة نحو (يا زكرياءُ إنا) فالثلاثة يحققون الأولى ويسهلون الثانية بين بين أو بالإبدال وكذلك أبو جعفر .

أما ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى فيحققون الهمزتين من الكلمتين فى جميع مواضعهما .

* * *

---

(١) راجع تقريب النشر ص٢٨ وما بعدها، والإتحاف ص٥١ وما بعدها.

تعليق ومناقشة :

من المستحسن أن نذكر هنا إحصاء تقريبيًّا لنسبة ورود أنواع الهمز المفرد فى القرآن الكريم وذلك من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، وهى على وجه التقريب كالآتى :

م	نوع الهمز	حكمه	نسبة وروده تقريبا
١	الهمز الساكن	الإبدال مدا	حوالى ألف مرة
٢	الهمز المسبوق بساكن صحيح غير ميم الجميع	الحذف	حوالى ألفى مرة
٣	الهمز المسبوق بياء المد	الإبدال ياء	أقل من خمسين مرة
٤	الهمز المسبوق بواو المدّ الزائدة	الإبدال واوا	مرة
٥	الهمز المفتوح المضموم ما قبله فى كلمة	الإبدال واوا	أقل من خمسين مرة
٦	الهمز المفتوح المكسور ما قبله فى كلمة	الإبدال ياء	أقل من خمسين مرة
٧	الهمز المكسور المضموم ما قبله فى كلمة واحدة	الإبدال أو بين	بضع مرات
٨	الهمز المضموم المكسور ما قبله فى كلمة واحدة	الإبدال أو بين	أكثر من خمسين مرة
٩	الهمز المسبوق بالألف	بين بين	حوالى ألف ومائتين
١٠	الهمز المفتوح المفتوح ما قبله	بين بين	حوالى مائتين
١١	الهمز المكسور المفتوح ما قبله	بين بين	أكثر من مائة مرة
١٢	الهمز المكسور المكسور ما قبله	بين بين	أكثر من عشرين مرة
١٣	الهمز المضموم مضموم ما قبله	بين بين	أقل من عشرين مرة
١٤	الهمز المضموم المفتوح ما قبله	بين بين	أكثر من سبعين مرة

ومن خلال العرض والإحصاء يتبين لنا الآتى : -

أولاً : مذاهب القراء : -

(١) أبو جعفر : اطرد عنه تسهيل الهمز الساكن الذى يمثل النوع الأول فى الإحصاء السابق ، واطرد عنه كذلك تسهيل الثانية من الهمزتين ، سواء فى كلمة أو فى كلمتين ، وكثر عنده تسهيل النوع الثالث والخامس والسادس والثامن ، وتوسط فى تسهيل النوع الثانى عشر وقل عنده تسهيل النوع الثانى والتاسع والعاشر والحادى عشر ، والرابع عشر ، ولم يرد عنده تسهيل فى النوع الرابع والسابع والثالث عشر ، وبملاحظة أن هذه الثلاثة التى لم يرد فيها تسهيل قليلة الورود فى القرآن يمكن الحكم عليه بأنه من القراء المسهلين .

(٢) الإمام نافع من رواية ورش : اطرد عنده تسهيل الهمز الساكن (تقريبًا) وتسهيل الهمز المسبوق بساكن صحيح غير ميم الجمع ، واطرد عنه كذلك تسهيل الثانية من الهمزتين فى كلمة وفى كلمتين ، وكثر عنده فى النوع الخامس ، وتوسط فى النوع السادس ، وقل فى الثالث والثامن والتاسع والعاشر ، ولم يرد عنه تسهيل فى الرابع والسابع والحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر ، وبمقارنة ما ورد وما اطرد بما لم يرد يمكن الحكم عليه بأنه من المكثرين فى التسهيل .

(٣) الإمام أبو عمرو بن العلاء : يطرد عنه تسهيل الهمزة الثانية (غالبًا) من كلمة ومن كلمتين ، ويكاد يطرد عنه التسهيل فى الهمز الساكن أيضًا ، وفيما عدا ذلك فتسهيله قليل جدًّا ، وإذا لاحظنا أن أبا عمر كان لا يسهل فى المواضع السابقة إلا إذا أدرج[1] القراءة أى أسرع فيها أو قرأ فى الصلاة ، أو قرأ بالإدغام ، وفيما عدا هذه الحالات الثلاث فإنه يحقق كل الهمزات كما نحفظها فى قراءة حفص[2] ـ إذا لاحظنا ذلك أمكن الحكم عليه بأنه مكثر فى التحقيق مقل فى التسهيل .

(٤) ابن كثير : ليس له ـ فيما اشتهرا به ـ إلا تسهيل الهمزة الثانية من كلمة أو من كلمتين ، وبضع كلمات أخرى قليلة ، وعلى ذلك فهو من القراء المحققين للهمز .

(٥) ابن عامر وعاصم ـ فيما اشتهرا به ـ والكسائى وحمزة من القراء المحققين ، ولم يرد عنهم التسهيل فى حال الوصل إلا نادرًا .

---

(١) الإدراج هو الإسراع وهو ضد التحقيق لا كما فهمه من لا فهم له من أن معناه الوصل الذى هو ضد الوقف وبنى على ذلك أن أبا عمر إنما يبدل الهمزة فى الوصل فإذا وقف حقق، وليس فى ذلك نقل يتبع ، ولا قياس يستمع (انظر النشر ج١ ص٣٨٦).

(٢) انظر الكشف فى علل القراءات السبع مكى بن أبى طالب ص٦٠ وانظر الأصوات فى قراءة أبى عمر بن العلاء ص٩٣. [= صـ١٠٨ ، ١١٢ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربى] وانظر النشر فى القراءات العشر ج١ ص ص ٣٨٦.

ثانيًا : دعم جديد لما بين الهمزة وحروف المد من علاقة :

لاحظنا من خلال العرض السابق اطراد التسهيل فى الهمز الساكن ، عند القراء المسهلين ، المكثرين والمقلين ، ولاحظنا أن تسهيله يجرى على سنن واحد وقياس موحد لم يتخلف ، وهو الإبدال إلى حروف المد فقط دون غيرها من حروف اللين ، وإذا أضفنا إلى ذلك ما نلاحظه من خلال الإحصاء ، وهو كثرة ورود الهمز الساكن فى القرآن ، وقلة ورود الهمز الذى يبدل إلى الواو والياء غير المدتين ، حيث إن الأنواع من الثالث إلى الثامن التى تبدل ياء أو واوًا ، لا تكاد تجاوز نسبة الواحد إلى الخمسة من النوع الأول الذى يبدل مدّا . . ، وإذا أضفنا أيضًا أن إبدال الهمز إلى الواو والياء غير المدتين لم يطرد فى لسان القراء المسهلين المكثرين ، فضلاً عن أنه لم يرد فى لسان المقلين منهم (كأبى عمرو)... إذا أخذنا كل ذلك فى الاعتبار أمكن الحكم بضرورة وجود العلاقة الصوتية بين ما كثر فيه الإبدال وهو الهمز وحروف المدّ الثلاثة : الألف والواو والياء ، بينما لا يمكن ذلك فى جانب الواو والياء غير المدتين ، لأن حالات إبدالهما تمثل نسبة قليلة إذا ما قورنت بالأولى ، وربما لو كان قد أجرى هذا الإحصاء فى بيئة الحجاز وقت نزول القرآن على غير ما ورد فى القرآن الكريم من الهمزات لم يكن ليأتى إلا على هذا الوجه ، وبتلك النسب التى وردت فى القرآن وفى قراءات القراء من التسهيل والتحقيق ، وفى هذا دعم جديد لما كنا قد افترضناه فى الفصل السابق من وجود العلاقة الصوتية القائمة على أساس التقارب فى المخرج بين الهمزة وأصوات المدّ : الألف والواو والياء ، كما قال الخليل ومن تابعه .

ثالثًا : دقة منهج القراء :-

(١) يظهر ذلك فى الشروط التى وضعوها لبعض حالات التسهيل ، فقد اشترطوا لتسهيل الهمز الساكن أن يكون السكون أصليًّا غير عارض للوقف ، وهذا يعنى أنهم ينقلون الظواهر اللغوية فى أكمل أحوالها وهى حال الوصل ، وأنهم نبهوا إلى أن الحكم قد يختلف فى حال الوقف عنه فى حال الوصل .

واشترطوا ألا يزول السكون عن موضعه ، كأن تعرض الحركة لالتقاء الساكنين ، نحو ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ ﴾ (الأنعام:٣٩) فلو خففت هذه الهمزة المتحركة بحركة عارضة ، لأدّى التخفيف إلى التقاء الساكنين ، وهو المحظور الذى فرّوا منه فى حال التحقيق ، ولا يمكن التخلص منه فى حال التسهيل إلا بالرجوع إلى التحقيق . ولم ينبّه اللغويون كسيبويه وابن يعيش والرضى إلى هذين الشرطين ، ولا يكفى فى ذلك أنهم ذكروا بابا آخر للهمز هو باب الوقف على المهموز .

كذلك اشترط القراء فى نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ألا يكون ذلك الساكن ميما للجمع[1] ، لأن ميم الجمع قبل همزة القطع المتحركة فيها لغتان ؛ الضم مع الصلة وصلا لورش وابن كثير ، وقالون بخلف عنه ، وذلك اتباعًا للأصل ، ويصبح المدّ عندهم من قبيل المنفصل ، فكل يمد حسب مذهبه فى المدّ المنفصل ، واللغة الأخرى هى الإسكان وبها قرأ الباقون من القراء السبعة[2] . فلو نقلوا إليها لخرجت فى بعض المواضع عن هاتين اللغتين ، فالنقل مثلاً فى قوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ (البقرة:٦) يخرجها من الضم أو الإسكان إلى الفتح ، ويترتب على ذلك ضياع المدّ والصلة على اللغة الأولى ، وكذلك النقل فى قوله تعالى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ (الأعراف:١٥٧) يخرج ميم الجمع من الضم أو الإسكان إلى الكسر ، ويترتب على ذلك أيضًا ذهاب المدّ والصلة على اللغة الأولى .

أما اللغويون والنحاة فلم يشترطوا شيئًا من ذلك ، ومقتضى ذلك أنهم يجيزون النقل إلى ميم الجمع ، قال أبو حيان : «وإذا كانت الهمزة أول الكلمة وقبلها ساكن صحيح ، فأهل الحجاز يحذفونها بعد نقل حركتها إليه ، سواء فى ذلك التنوين ، ولام التعريف ، وميم الجمع الساكنة ، وسائر حروف المعجم الصحاح . . ومن

---

(١) انظر تقريب النشر ص٣٦ بالهامش ، وإتحاف فضلاء البشر ص٥٩ ، والنشر فى القراءات العشر ج١ ص٤٣٤.

(٢) الإرشادات الجلية فى القراءات السبع ص٢٤.

أجاز نقل حركة الهمزة إلى ميم الجمع الساكنة الزجاج، وأبو عبدالله بن أبى العافية، وإبراهيم النقاش ، وذكروا أنها لغة قريش وكنانة[1] ، «لكنه عقب بقوله» وقال أبو الحسن الباذش : وهذا ذهاب عن الصواب الذى عليه الخليل وسيبويه ، وسائر النحويين المتقدمين»[2] ، فترددهم بين الجواز والمنع يدل على اضطرابهم فيما نقلوه إلينا من ظواهر لغوية ، وهذا ما لم نجده عند القراء .

(٢) ويظهر ذلك أيضًا فى موقف أبى عمرو بن العلاء من الهمز الساكن فى بعض أحواله ، فهو لا يسهله إذا كان سكونه للجزم أو للبناء ، محافظة منه على علامتى الإعراب والبناء ، ولا يسهله إذا كان التسهيل أثقل ، كأن يؤدى إلى اجتماع الواوين فى (تؤوى وتؤويه) ، وذلك نقيض المقصود من التسهيل ، ولم يكن يسهل أيضًا إذا أدّى التسهيل إلى الالتباس بمعنى آخر ، فلو سهل لفظ (رئيا) لصار بعد الإبدال والإدغام (ريّا) ، وحينئذ يحتمل أن يكون من (رى الشارب) بينما هو عنده من الرواء ، وهو المنظر الحسن[3] ، ولم يكن يسهل لفظ (مؤصدة) لأنها عنده من آصدت المهموز بمعنى أطبقت ، لا من أوصدت غير المهموز الفاء ، ومعناه أغلقت ، فالهمز عنده لربط الفرع بأصله[4] . وفى رأيى أن النحويين كانوا أولى بذكر هذه المحترزات ، لأنهم بصدد التقعيد والتقنين للظواهر اللغوية ، أما القراء فهم أصحاب نقل ورواية ، فلا حرج عليهم إن لم يفعلوا ، ومع ذلك فقد وجدنا العكس هو الذى حدث.

(٣) ويظهر ذلك أيضًا من موقف النحويين والقراء من الهمزتين فى الكلمة وفى الكلمتين ، فالنحويون أصدروا أحكامًا بشأنهما ، وليس لهم من سند فيها إلا القاعدة المبنيّة على أساس من العقل والمنطق ، فسيبويه يقول : «واعلم أن الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة ، فإن أهل التحقيق

---

(١) انظر ارتشاف الضرب من كلام العرب ج١ ص٢١٢.

(٢) انظر الموضع السابق ـ وقارن مع كتاب الإقناع في القراءات السبع ٢٢٤ ط أولى ١٩٩٩ م .

(٣) انظر الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ص٩١ - [صـ ١٠٩ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربى] .

(٤) المرجع السابق -[صـ ١٠٩ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربى] .

يخففون إحداهما ويستثقلون تحقيقهما لما ذكرت لك ، كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة، فليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فتحققا.»[1]

وفى موضع آخر يقول : «واعلم أن الهمزتين إذا التقتا فى كلمة واحدة لم يكن بد من بدل الآخرة ، ولا تخفف ، لأنهما إذا كانتا فى حرف واحد لزم التقاء الهمزتين الحرف»[2] ، وإذا كانوا قد تراجعوا عن هذا الإلزام فى الهمزتين من كلمتين ، فذكر سيبويه أن تحقيقهما لغة ناس من العرب إلا أنهم يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفًا ، لكراهتهم التقاء الهمزتين ، وذكر أيضًا أن منهم من يحققهما ولا يدخل ألفًا بينهما[3] . . . ـ فيبدو أن هذا التراجع مقصور على ما إذا كانت الأولى من الهمزتين للاستفهام ، كما يؤخذ من الأمثلة التى ذكرها سيبويه وابن يعيش ، أما بالنسبة للهمزتين من كلمة فقد أصروا على عدم تحقيقهما ، فقالوا : واجتماع الهمزتين فى كلمة غير مستعمل[4]. وقالوا عن قراءة الكوفيين وابن عامر التى تحققهما بصفة دائمة ، وليس ذلك بالوجه . . . وذلك ضعيف . . . وقالوا وقد يتكلم ببعضه العرب وهو ردىء[5].

ولا ندرى كيف تأتى لهم أن يقولوا مثل ذلك !! أليست قراءات الكوفيين وابن عامر من كلام العرب؟؟ وكيف لا تكون منه وقد قال النبى ﷺ اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، ولحونها وأصواتها ـ كما قال أبو عمرو الدانى ـ مذاهبها وطباعها ، أَوْ لَيْس تحقيق الهمزتين من كلمة ومن كلمتين إلا لحنًا وطبعًا ومذهبًا للعرب البادين؟؟ وإذا كان الذى يتكلمون به ، ويتكلم به أربعة من الأئمة المشهورين الذين صحت قراءاتهم وتواترت ويتكلم به كل من تلقى عنهم هو الردىء من الكلام واللغة ، أو هو الضعيف أو ليس بالوجه . . فما الجيّد إذن ؟ ؟ وما القوى عندهم؟؟ وما الوجه الذى يرتضونه؟؟ أليس تحقيق الهمزتين المجتمعتين

---

(١) سيبويه ج٣ ص٥٤٩ ط : تراثنا.
(٢) المرجع السابق ج٣ ص٥٥٢.
(٣) راجع السابق ج٣ ص٥٥١، وراجع شرح المفصل ج٩ ص١١٩.
(٤) شرح المفصل ج٩ ص١١٧.
(٥) المرجع السابق ج٩ ص١١٨.

هو الذى لا يزال سائدًا فى لسان كل من ينطق بالعربية الفصحى الآن؟؟ وفى لسان كل قارئ للقرآن برواية حفص؟ لا نظن أن تحقيقهما فى اللغة الفصحى المعاصرة شيء جديد أو مستحدث أو لم يكن مثله كثرة وجودة عند العرب الفصحاء . إن ما سجله القراء من وجود الأمرين : تحقيقهما معًا أو تحقيق إحداهما وتخفيف الأخرى هو المنهج السليم الذى ينطبق على اللغة فى ماضيها وحاضرها .

ولا محل لجزم النحويين أيضًا بأن الهمزتين إذا التقتا فى كلمة لم يكن بدّ من بدل الآخرة ، ولا تخفف ، لأن البدل والتخفيف ، وجهان واردان فى قراءة قالون وورش ، وابن كثير ، وأبى عمرو ، وكذا رويس وأبو جعفر ، فكلهم قرأ كلمة (أئمة) [1] فى جميع مواضعها بالتسهيل بين بين أو بالبدل ، وكلهم يفصل بين المحققة والمسهلة بألف ، ما عدا أبا جعفر فإنه لا يفصل فى جميع المواضع ، وما عدا ورشا فإنه يفصل فى الموضع الثانى من سورة القصص ، وفى موضع السجدة ، وليس لمن يفصل إلا التسهيل بين بين لا غير[2] . نعم ينطبق قول النحويين على ثانى الهمزتين الساكنة ، فى نحو آدم وإيمان ، فلو خصصوا البدل بها ، لما خرجوا عن دائرة الصواب .

* * *

رابعًا : بين القياس والرواية : -

كان النحويون المتقدمون يريدون بالقياس «وضع الأحكام العامة للغة ، أو وضع القواعد لتلك النصوص التى انحدرت إليهم ، فسيبويه حين استعمل فى كتابه كلمة القياس لم يكن يعنى أكثر من أن ظاهرة ما من ظواهر اللغة روى لها عن العرب قدر من الأمثلة يكفى لأن توضع لها قاعدة عامة»[3] ، هكذا أسس

---

(١) وردت فى خمسة مواضع هى التوبة والأنبياء والسجدة، وموضعان فى القصص.

(٢) راجع إتحاف فضلاء البشر ص٥٠.

(٣) من أسرار اللغة ص١٨.

البصريون مذهبهم على الكثير المتداول من اللغة . أما الكوفيون فكانوا يعتدون بالأشعار والأقوال الشاذة ، ولا يشترطون أى نوع من الكثرة فى تقعيد قواعدهم ، فهم «لو سمعوا بيتًا واحدًا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه[١] ، وهم كذلك إذا سمعوا لفظًا فى شعر أو نادر كلام جعلوه بابًا أو فصلاً[٢] .

وفى مقابلة القياس كان يوجد الشذوذ ، وقد عرفه النحويون بأنه «مخالفة اللفظ العربى مفردًا ومركبًا ، ما عليه بقية أفراد بابه ، فى نثر من يعتد بعربيتهم ، أو فى شعر من يعتد بشعرهم ، بشرط ورود تلك الحالة بعينها فى نثر معتد به ، ويحكم عليه فيه بالشذوذ[٣] ، «والشاذ ليس لحنًا ولا غلطًا ، قال الشيخ محمد على النجار وليس من الخطأ ما جاء شاذًّا عن القياس»[٤] ، فهوإذن من كلام العرب الذين يعتد بكلامهم فى تقعيد قواعد اللغة ، غاية الأمر أنه لم يبلغ درجة القياس كثرة ومداولة ، فلم يستحق أن يستقل بنفسه فتبنى عليه القواعد ، فالقياسى هو المستوى الصوابى الأول عند النحويين ، والشاذ هو المستوى الصوابى الثانى عندهم .

أما القراء فكان منهجهم فى نقل التراث اللغوى (القراءات) يختلف تمامًا ، فالصحيح عندهم الذى يقرأ به «ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهى : أن ينقل عن الثقات عن النبى ﷺ ، ويكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن سائغًا ويكون موافقًا لخط المصحف»[٥] ، والشاذ «ما صح نقله عن الآحاد ، وصح وجهه فى العربية ، وخالف لفظه خط المصحف ، فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين : إحداهما أنه لم يؤخذ بإجماع . . . وثانيهما أنه مخالف لما قد أجمع عليه (وهو خط المصحف) فلا يقطع بصحته ، وما لم يقطع بصحته لا يجوز القراءة به ولا يكفر من حجده[٦]، «أما ما نقله غير ثقة ،أو نقله ثقة ولا وجه له فى العربية فهذا لا يقبل

---

(١) الاقتراح فى أصول النحو ص٨٤.

(٢) همع الهوامع ج١ ص٤٥.

(٣) الشذوذ والضرورة فى لغة العرب ص٢٨.

(٤) السابق ص٤٢ نقلاً عن الأخطاء الشائعة للشيخ محمد على النجار ص١٩.

(٥) النشر ص١٣. (٦) النشر ص١٤.

وإن وافق خط المصحف[1] ، وأما «ما وافق العربية والرسم ، ولم ينقل البتة ، فهذا ردّه أحق ، ومنعه أشد ، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر»[2].

فالمعول عليه إذن فى قبول القراءة أمران : الرواية (تواترا أو آحادا) ، وموافقة وجه من وجوه العربية ، ومعنى قبول القراءة أنه يجوز تعلمها ، وتعليمها وتدوينها فى الكتب ، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى ، واستنباط الأحكام الشرعية منها ، على القول بصحة الاحتجاج بها ، والاستدلال بها على وجه من وجوه العربية»[3].

ومن النظر فى صنيع النحويين والقراء نتبين أن القراء نظروا فى الكم الناطق بالرواية ، الناقل للغة ، أما اللغة ذاتها (الممثلة فى القراءات) فهى جوهر مصون ، ليس لأحد أن ينال من قدسِيّتِهَا ، كيفما أتت ، وعلى أى وجه رويت ، وإذا أضفنا إلى ذلك أن نظرتهم تلك كانت فى كل كلمة من كلمات اللغة الممثلة فى القراءات على حدة ، أدركنا مدى الضبط فى منهج الرواية ، وكل ما ترتب على هذا المنهج الدقيق هو إغفال بعض الوجوه اللغوية التى لم تتوفر لها الرواية السليمة ، ونظن أنها قليلة جدًا ، وعلى كل حال فليست هناك وجوه فى الهمز والتسهيل لم ترد بها القراءات .

أما النحويون فقد اعتمدوا كل الاعتماد فى بناء قواعدهم على الكم المنطوق من اللغة ، فلم ينظروا إلى كل لفظ على حدة إن صح فى الرواية يكون صحيحًا فقط بل نظروا إليه فى ضوء نظائره ، واعتبروا مدى مخالفته أو موافقته لها ، وقد ترتب على ذلك المنهج عدة أمور : -

(١) أغفل النحويون ذكر وجوه من التسهيل ، مع أنها وردت فى العربية ، ولها وجاهتها ، ولولا القراءات القرآنية ، لم نكن نعلم شيئًا عنها ، ومن ذلك مثلاً

---

(١) النشر ص١٤.

(٢) المرجع السابق ص١٧.

(٣) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ص٨.

قراءة الإمام أبى جعفر للهمز المضموم بعد كسر وبعده واو ، نحو : مستهزئون والصابئون ، المتكئون ، ليواطئوا ، قل استهزئوا . . . وقراءة نافع للفظ «الصابئون» فى المائدة ـ حيث كانا يحذفان الهمزة ، ويضمان ما قبلها ، فتصير المستهزون والصابون . . . إلخ ، وعلى الرغم من أن هذا الوجه من التسهيل لم يذكره النحويون[1] لا فى القياس ولا فى الشذوذ ، فله وجاهته ، يتضح ذلك إذا تذكرنا ما للنَّحويين فى تسهيله من وجوه ، وهى بين بين على رأى سيبويه ، والإبدال ياء على رأى الأخفش ، أو بين بين البعيد على رأيه أيضًا ، ويترتب على رأى سيبويه وقوع همزة بين بين التى هى كالواو الساكنة بعد الكسرة ، وذلك ثقيل ، ويترتب على رأى الأخفش مجىء الياء الصريحة متحركة بالضم بعد الكسر ، وذلك ثقيل أيضًا ، أما بين بين البعيد فهو مرفوض فى كلامهم[2] . أليس فى ذلك الوجه الذى قرأ به أبو جعفر ونافع حال الوصل ، وقرأ به الإمام حمزة فى حال الوقف ، وأخذ به الكسائى فى الوقف أيضًا[3] ـ أليس فيه مخرج من كل ما ترتب على الأوجه الثلاثة التى ذكروها؟؟ وهلْ هو إلا وجه من الوجوه التى تكلمت بها العرب ، ونقل إلينا بأوثق طرائق النقل؟؟ نعم هو كذلك ، ولكن النحويين نظروا إليه فى ضوء نظائره التى لم تقع فيها الواو بعد الهمزة ، لأنها هى التى لم يرد فيها هذا الوجه ، بل لا يجوز ، وقد وجه الزجاج مثل ما ورد فى قراءة أبى جعفر ونافع وحمزة فقال : « فأما مستهزون فضعيف لا وجه له إلا شاذا ، على لغة من أبدل من الهمزة ياء ، فقال فى استهزأت « استهزيت ، فيجب على لغة استهزيت أن يقال مستهزون[4] ، وإذا كنا قد علمنا أن التحويل فى توضأت إلى توضيت ـ وهو يشبه استهزيت ـ لهجة هذيل ، أفلا يكون من الإنصاف أن

---

(١) كسيبويه، وصاحب المفصل، وشارحه ، وصاحب الشافية، وشراحها.

(٢) راجع شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٤٦، ٤٧.

(٣) راجع جامع البيان فى القراءات السبع ورقة ١٠٨- وقارن مع المطبوع منه جـ١ صـ٣٨٢ .

(٤) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ج١ ص٥٥.

لا نقول بشذوذ هذا الوجه من التسهيل ، وأن نرده إلى لهجة من ينطق به؟؟ باحثين فقط عن السند السليم الذى نطمئن معه إلى أن العرب كانوا ينطقون كذلك!! إن منهج الرواية أضبط فى نقل اللغة من منهج القياس .

كذلك أغفل النحويون وجهًا فى الهمز المكسور بعد كسر وبعده ياء ، فليس لهم فيه إلا بين بين ، أما القراء فلهم وجه آخر ، وهو حذف الهمزة ، وذلك ما قرأ به نافع (الصابئين) فى البقرة والحج[1]، وقرأ به أبو جعفر (متكئين) حيث وقع فى القرآن الكريم ، و(الخاطئين) معرفًا ومنكرًا فى يوسف وفى القصص ، و(المستهزئين) فى سورة الحجر ، بالإضافة إلى (الصابئين) فى البقرة والحج[2] . لم يذكر النحويون هذا الوجه ، لأنهم نظروا إليه فى ضوء نظائره مما لم يقع بعد الهمزة فيها ياء ، أما توجيهه فيمكن القول أيضًا أنه على لغة من يقول : صبوت وخطيت واستهزيت ، واتكيت ، ويمكن أيضًا أن يكون من الأفعال المهموزة ، إلا أن المسهلين استثقلوا التقاء همزة بين بين بياء المدّ بعدها ، على عادة العرب فى التخلص من التقاء الساكنين ، وشبه الساكن مع الساكن .

وأيضًا أغفل النحويون وجها فى المضمومة بعد الفتح وبعدها واو ، إذ لم يقولوا فيه إلا بالتسهيل بين بين ، وذلك الوجه نجده فى قراءة أبى جعفر لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَطَئُونَ ﴾ (التوبة:١٢٠) ، ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ﴾ (الأحزاب:٢٧) و ﴿ أَن تَطَئُوهُمْ ﴾ (الفتح:٢٥) ، حيث كان يقرأ بحذف الهمزة ، وإسكان الواو بعدها ، وإبقاء ما قبلها مفتوحًا[3] ، والسبب فى إغفال النحويين له نظرتهم إليه فى ضوء نظائره مما لم تقع بعد الهمزة فيه الواو ، ويمكن توجيهه أيضًا بتخلص الناطقين به من التقاء شبه الساكن مع الساكن ، ثم أسكنوا الواو ، ولم يضموا الطاء ، لئلا يخرج الفعل من بابه .

---

(١) تقريب النشر ص٣٢.

(٢) تقريب النشر والسبيل الميسر فى قراءة الإمام أبى جعفر ص٢٤.

(٣) السابق ص٨٠، ص١٢٣، ص١٣٧.

ولم يذكر النحويون أيضًا ـ ولو فى الشاذ ـ أن همزة بين بين بعد الألف قد تصير إلى الحرف الذى منه حركتها[1] ، وهذا ما وردت به القراءات ، ففى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ ﴾(الطلاق:٤) قرأ أبو عمر والبزّى (واللاى) بياء ساكنة من رواية المغاربة ، ويمد حينئذ لالتقاء الساكنين ، قال أبو عمرو وهى لغة قريش[2]. وروى القاسم بن عبد الواحد عن ابن كثير (ولتأتى طايفة ، بالياء)[3]. وفى بعض روايات ابن كثير أيضًا (شعاير) بغير همز[4]. وجاء عن السبعة (دايرة السوء) بالياء[5]. ولم يذكر النحويون كذلك بعض الوجوه التى سبق أن نقلناها فى الهمزتين المجتمعتين من كلمتين . . . وكل هذا وأمثاله يدل على قصور منهج القياس فى نقل صورة صادقة للغة إذا ما قورن بمنهج الرواية الذى سار عليه القراء .

(٢) قلل النحويون من قيمة بعض الوجوه بوضعهم لها فى المستوى الصوابى الثانى (الشَّاذ) ، بينما قد يكون هذا الوجه كل ما ورد عن العرب فى لفظ بعينه ، ونضرب على ذلك مثلاً باللفظتين اللتين أوردهما النحويون فى الشاذ وهما (منساة وسال) بإبدال الهمزة فيهما ألفًا خالصة ، وخرجوا عليهما الأبيات :

إذا دببت على المنساة من هرم ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل[6]

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما قالت ولم تصب

سالوا رسول الله ما ليس معطيهم ... حتى الممات وكانوا سبة العرب

---

(١) بل صرح الرضى بعدم جواز ذلك فقال: وكذا لا يجوز قلبها واوًا أو ياء ساكنة ، للساكنين ، ولا متحركة، ا هـ جـ ٣ ص٤٠ شرح الشافية.

(٢) النشر ج١ ص٣٩٨ (بتصرف).

(٣) مختصر فى شواذ القراءات ص٢٨.

(٤) السابق ص١١.

(٥) السابق ص٥٤.

(٦) البيت من البسيط، لم أقف على قائله، وهو فى المحتسب ١٨٧/٢، ومجاز القرآن ١٤٥/٢، ومعانى القرآن للفراء ٢٥٦/٢، وتفسير القرطبى ٢٦٧/١٤، والدر المصون ٤٣٦/٥، والبيان والتبيين ٣١/٣، وتفسير الماوردى ٣٥٢/٣، ومفاتيح الأغانى للكرمانى ٣٣٧، والصحاح واللسان والتاج (نسأ) و(نسى)، وفتح البيان فى مقاصد القرآن للقنوجى ٥١٢ (رسالة ماجستير للباحث مصطفى أحمد إسماعيل) والمعجم المفصل ٢٢٣/٦.

سـألتانى الطـلاق إذ رأتـانى قل مـالى قـد جئتمـانى بنكـر

وإذا كان الإبدال هو كل ما ورد فى قراءة اللفظ (منسأة) عند الأئمة المسهلين (نافع وأبى جعفر وأبى عمرو) ، فقد صرح المبرد بأن «بعض العرب تبدل من همزتها ألفًا» ، وقال البنا الدمياطى إنها لغة أهل الحجاز[1]. إذا كانوا لم ينطقوه إلا على هذا الوجه ، فكيف نعده شاذًا؟؟ وإذا كان الفعل الماضى (سأل) قد تكرر فى القرآن ثمانى عشرة مرة ، ولم يقرأ على قياس النحويين فى حال الوصل ، ولو مرة واحدة ، فكيف نقول عن الإبدال الذى قرأ به نافع وابن عامر وأبو جعفر ، والذى هو لغة قريش[2] إنه وجه شاذ؟؟ لم يكن من سبب لذلك إلا نظرة النحويين إليهما فى ضوء نظائرهما ، وهى بالطبع نظرة ظالمة قائمة على افتراض أن الأكثر تداولاً هو الذى ينبغى أن يكون قانونًا ، ولو كان الناطقون به قلة . وأن الأقل تداولاً لا يصلح قانونًا ولو كان الناطقون به كثرة .

(٣) كذلك ترتب على مقياس النحويين ، وقوفهم عاجزين عن التعليل والتخريج أمام بعض الوجوه اللغوية ، كقولهم فى نحو (أريت) أنه مما حذفت همزته بلا علة ولا ضابط[3]، أو ليس بالاختيار ، ولم يصح عن العرب ريت[4]، وكقولهم فى (يشا) بحذف الهمزة إنه على اللغة القليلة . . مع أن الأول ورد فى قراءة سبعية صحيحة ، وهى قراءة الكسائى لكل ما دخلت عليه همزة الاستفهام من الفعل الماضى (رأى) وقد تكرر ذلك فى القرآن نحو أربع وثلاثين مرة ، ومع أن للثانى نظيراً وردت به القراءات ، ومنه قراءة الأعمش عن أبى بكر (فمن شا اتخذ إلى ربه سبيلاً) بالوصل من غير همز[5]، وقراءة ابن محيصن : (فجاءته احداهما)

---

(١) ينظر فتح البيان فى مقاصد القرآن للقنوجى ٥/٤٢٨، والاتحاف ص٢٢٠ المطبعة الميمنية ١٣١٧هـ

(٢) الإتحاف ص٤٢٣ (نسخة أخرى) وص ٢٦١ طبعة الميمنية.

(٣) شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٣٧.

(٤) الكشاف للزمخشرى ج٤ ص٦٤١. الطبعة الثانية ١٩٥٢م.

(٥) مختصر فى شواذ القراءات ص١٦٦.

بإسقاط الهمزة[1] . . وقراءة أهل مكة (شُرَكايَ الـذين) (النحل:٢٧)[2] . . إلخ إن هـذا وغيره عيوب لحقت منهج القياس الذى أصله النحويون بينما لم نجد ذلك فى منهج الرواية الذى سار عليه القراء ، ولو اتبع النحويون ما أصله أبو عمرو بن العلاء حين قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خـالفنى لغـات (أى لهجـات)[3] ـ فقـالوا هـذا قياس وهذه لهجة بنى فلان ولم يقولوا هذا شاذ ولا ضـعيف ولا قليـل أو لا ضـابط له ، لكانوا صادقين فى نقل صورة صحيحة وصادقة للغة العرب ولهجاتهم .

* * *

التعليل لمذاهب القراء المشهورين :

قبل أن نأخذ فى التعليل لمذهب كل قارئ ، نود أن نلفت النظر إلى أننا سنتبع فى ذلك طريقة الدكتور عبد الفتاح شلبى فى التعليل لمذاهب القراء فى الإمالة ، فنرجع مذهب كل واحد منهم إلى أحد عاملين أو هما معًا :

(أ) شيوخه الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم .

(ب) البيئات التى توطنوها وما شاع فيها من لهجة[4] الهمز والتسهيل .

١- الإمام أبو جعفر

هو يزيد بن القعقاع ، الإمام أبو جعفر المخزومى المدنى القارئ ، أحد القراء العشرة ، تابعى مشهور كبير القدر ، ويقال اسمه جندب بن فيروز وقيل فيروز اسمه . . . كان إمام الناس بالمدينة ، وقال ابن مجاهد : حدثونى عـن الأصمعـى عـن أبى الزناد قال : لم يكن أحد أقرأ للسنة من أبى جعفر ، وكان يقدم فى زمانه على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وقال مالك : كان أبو جعفر رجلاً صالحًا يقرئ الناس بالمدينة ، وتوفى بها سنة (١٣٠هـ أو١٣٢هـ أو ١٢٩هـ) على خلاف فى ذلك[5].

---

(١) المحتسب ج٢ ص١٥٠ ـ والآية في القصص ٢٥ .

(٢) مختصر فى شواذ القراءات ص٧٦.

(٣) المزهر ج١ ص١١١ مطبعة السعادة.

(٤) انظر الإمالة فى القراءات واللهجات العربية ص١١٦ الطبعة الثانية ١٩٧١م.

(٥) غاية النهاية فى طبقات القراء ج٢ ص٢٨٢، ٢٨٣.

أما شيوخه الذين أدّوا إليه القراءة فمنهم أبو الحارث عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى ، وحبر الأمة عبد الله بن عباس الهاشمى ، وأبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، وأخذ هؤلاء الثلاثة عن أبى المنذر أبى بن كعب الخزرجى ، وقرأ أبو هريرة وابن عباس أيضًا على زيد بن ثابت ، وقرأ زيد وأبىّ على رسول الله ﷺ[1].

وإذا كان النسب ينتهى إلى قبيلة حجازية ، وكان الشيوخ كلهم حجازيين ، وكانت بيئة الإقامة حجازية ، لم يكن ينتظر من أبى جعفر غير التسهيل .

* * *

٢- الإمام نافع

لقد جاءت قراءة نافع موافقة لما عرف عن بيئته كل الموافقة ، فهو «المدنى» أحد القراء السبعة الأعلام ثقة صالح[2] ، كان من أطهر الناس خلقًا ، ومن أحسن الناس قراءة ، وكان زاهدًا جوادًا ، صلى فى مسجد النبى ﷺ ستين سنة[3] . قال عنه الليث بن سعد : قدمت المدينة ، ونافع إمام الناس فى القراءة لا ينازع ، وكان إمام المسجد النبوى[4] . أقرأ الناس دهرًا طويلاً ، نيف عن سبعين سنة ، وانتهت إليه رياسة القراء بالمدينة ، وصار الناس إليها[5] ، وقال أبو عبيد : وإلى نافع صارت قراءة أهل المدينة ، وبها تمسكوا إلى اليوم[6] وقال ابن مجاهد : كان الإمام الذى قام بالقراءة بعد التابعين بمدينة الرسول ﷺ نافعا ، قال : وكان عالمًا بوجوه القراءات متبعًا لآثار الأئمة الماضين ببلده[7] ، وقال سعيد بن منصور : سمعت مالك بن أنس يقول : قراءة أهل المدينة سنة ، قيل له قراءة نافع ، قال : نعم[8].

---

(١)انظر غاية النهاية فى طبقات القراء وانظر السبيل الميسر فى قراءة الإمام أبى جعفر ص٧.

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء ج٢ ص٣٣٠.

(٣) السابق ج٢ ص٣٣٣.

(٤) لطائف الإشارات ورقة ٣٢ مخطوط ـ وانظر المطبوع منه ج١ ص ٩٤ .

(٥) غاية النهاية ج١ ص٣٣١.

(٦) السابق . (٧) السابق . (٨) السابق .

ولد نافع سنة (٧٠هـ) وتوفى (١٦٩هـ) فى أواخر أيام المهدى ، وله راويان أخذا عنه القراءة ، أحدهما : عيسى بن وردان الملقب قالون (ت ٢٢٠هـ) قارئ المدينة[١] ، وثانيهما : عثمان بن سعيد الملقب ورش (ت ١٩٧هـ أو ١٩٨هـ) شيخ القراء المحققين ، وإمام أهل الأداء المرتلين ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية فى زمانه ، ولد سنة (١١٠هـ) بمصر ورحل إلى نافع بن أبى نعيم فعرض عليه القرآن عدة ختمات فى سنة (١٥٥هـ) [٢] ، قال النحاس قال لى يعقوب الأزرق : إن ورشا لمّا تعمق فى النحو وأحكمه ، اتخذ لنفسه مقرًا يسمى مقرأ ورش ، قلت (ابن الجزرى) يعنى مما قرأ به على نافع[٣].

فالبيئة التى عاش فيها نافع ، وقالون ، وقضى ورش بها شطرًا كبيرًا من حياته بيئة حجازية خالصة ، عرف عنها التسهيل .

وأما شيوخ نافع الذين أدّوا إليه القراءة ، فكلهم مدنيون أيضًا ، وهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وقد «كان إمام أهل المدينة فى القراءة»[٤] ، وأبو داود عبدالرحمن بن هرمز الأعرج «المدنى التابعى الجليل»[٥] ، وشيبة بن نصاح وهو إمام ثقة مقرئ أهل المدينة مع أبى جعفر وقاضيها[٦] ، وأبو عبد الله مسلم ابن جندب الهذلى «مولاهم ، المدنى القاضى»[٧] ، ويزيد بن رومان أبو روح المدنى مولى الزبير[٨].

فلا غرابة إذن فى أن يكون الإمام نافع ، وقد تتلمذ لهؤلاء الشيوخ المدنيين وقضى فى المدينة حياته الطويلة ، التى ناهزت المائة سنة ، من أكثر القراء تسهيلاً للهمزة .

---

(١) غاية النهاية ج١ ص٦١٥.

(٢) السابق ج٢ ص٥٠٢.

(٣) غاية النهاية ج٢ ص٥٠٣.

(٤) غاية النهاية فى طبقات القراء ج٢ ص٣٨٣.

(٥) السابق ج١ ص٣٨١.

(٦) السابق ج١ ص٣٣٩.

(٧) السابق ج٢ ص٢٩٧.

(٨) السابق ج٢ ص٣٨١.

وأما ما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال سألت أبى : أى القراءة أحب إليك؟ قال قراءة أهل المدينة ، قلت : فإن لم تكن ، قال : قراءة عاصم ، قرأت القرآن كله على الإمام أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن التحقيق ، وقرأه هو على الصائغ التحقيق ، وقرأ على الكمال الضرير التحقيق ، وقرأ على الشاطبى التحقيق ، وقرأ على ابن هذيل التحقيق ، وقرأ على أبى داود التحقيق ، وقرأ على الدانى التحقيق ، وقرأ على فارس التحقيق ، وقرأ على عمر بن عراك التحقيق ، وقرأ على حمدان بن عون التحقيق ، وقرأ على إسماعيل النحاسى التحقيق ، وقرأ على الأزرق التحقيق ، وقرأ على ورش التحقيق ، وقرأ على نافع التحقيق[1] ـ فهو وإن كان حديثًا متصلاً ، ودالاً على أن نافعًا كان يحقق الهمزة إذا ما قرأ بالتحقيق (ضد الحدر) ، إلا أنه لا يتعارض مع ما ذكرته آنفًا من أن مذهبه الذى قرأ به على شيوخه ، ولقنه لراوييه هو التسهيل ؛ ذلك لأن نافعًا تلقى قراءته عن جمع غفير من التابعين غير هؤلاء الشيوخ ، فهو الذى قال : قرأت على سبعين من التابعين ، فما اجتمع عليه اثنان أخذته ، وما شك فيه واحد تركته ، حتى اتبعت هذه القراءة[2] . وفيه يشير إلى تنوع مصادر قراءته ، وإلى أنه كان يختار منها ، فربما كان قد أخذ ـ فيما أخذه عن شيوخه ـ التسهيل والتحقيق ، ثم اختار التسهيل مذهبًا له ، وقد يشير إلى ذلك قول الأعشى : كان نافع يسهل بالقرآن لمن قرأ عليه ، إلا أن يقول له إنسان : أريد قراءتك[3]، يعنى «أنه كان يقرئ الناس بكل ما قرأ به ، حتى يقال له : نريد أن نقرأ عليك باختيارك مما رويت»[4] ، وأنه كان لا يرد على أحد ممن يقرأ عليه ، إذا وافق ما قرأ به على بعض أئمته ، فإن قيل له أقرئنا بما اخترته من روايتك : أقرأ بذلك[5].

---

(١) غاية النهاية ج٢ ص٢٣٢.

(٢) الإبانة عن معانى القراءات لمكى بن أبى طالب ص١٧.

(٣) غاية النهاية ج٢ ص٣٣٣.

(٤) الإبانة عن معانى القراءات ص٤٥.

(٥) السابق ص٤٦.

وبمثل ذلك التفسير وحده يمكن تأويل الحديث الذى أورده ابن الجزرى ونصه أخبرنى محمد بن أبى بكر الحافظ عن عثمان بن محمد المالكى عن أبى إسحاق الأشبيلى ، عن أبى عبد الله الأندلسى ، عن أحمد بن محمد ، عن أبى عمرو ، قال : حدثنا فارس بن أحمد ، ثنا عمر بن محمد المقرئ ، ثنا أبو محمد الحسن بن أبى الحسن العسكرى ، ثنا محمد بن الحسن بن عمر ، ثنا عبدالرحمن بن داود بن أبى طيبة قال : قرأت على أبى التحقيق ، وأخبرنى أنه قرأ على ورش التحقيق ، وأخبره أنه قرأ على نافع التحقيق ، قال وأخبرنى نافع أنه قرأ على الخمسة التحقيق ، وأخبرنى الخمسة أنهم قرءوا على عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة التحقيق ، وأخبرهم عبد الله أنه قرأ على أبى بن كعب التحقيق ، وأخبر أبىّ أنه قرأ على رسول الله ﷺ التحقيق ، قال وقرأ النبى ﷺ عَلَىَّ التحقيق ، قال الحافظ أبو عمرو الدانى : هذا الحديث غريب لا أعلمه يحفظ إلا من هذا الوجه ، وهو مستقيم الإسناد»[1]، فورش تلميذ نافع ، وشيوخه الخمسة ، كانوا أيضًا مثله فى الجمع بين التحقيق والتسهيل ، حتى يتحقق التيسير الذى قصده الرسول ﷺ من حديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف) ، ولا سيما أنهم يقطنون المدينة ، وعليها يفد المسلمون من شتى البلاد الإسلامية ، مؤدين لنسك الحج ، أو مجاورين بها ، والحال أن قبائلهم مختلفة ، وألسنتهم متعددة ، فإذا أراد قارئ أن يقرأ على أحد شيوخ المدينة أقرءوه بما تعوده لسانه فى بيئته أو بما قرأ به فى بلدته التى وفد منها إنْ تحقيقًا وإنْ تسهيلاً ، ويبقى بعد ذلك لكل واحد منهم اختياره ، وهو ما نسميه بمذهب القارئ وطريقته ، كمذهب التسهيل مثلاً فى قراء الإمام نافع .

* * *

٣- الإمام عبد الله بن كثير

اشتهر بين العلماء والباحثين قديمًا وحديثًا أن ابن كثير كان يهمز ، ولم يكن من مذهبه تسهيل الهمزة ، وها هو ذا أبو على الفارسى يحدثنا فى كتابه الحجة فيقول :

---

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء ج٢ ص٣٣٢.

«وابن كثير كان أكثر الهامزين»[1]، وقد سار على ذلك جميع شراح الشاطبية يقول أحد تلاميذ الشاطبى عن ابن كثير : وليس له إبدال الهمزة الساكنة حيث جاء وليس له نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها . . . . وإنه يسهل الهمزة الثانية حيث اجتمعت همزتان فى كلمة واحدة . . . ولا يفصل بين همزتين بمدّ . . .[2]»، وعدم تسهيله لهذين الضربين يعنى أنه من غير المسهلين ، لأنهما من أكثر الأنواع دورانا فى القرآن الكريم ، كما دل الإحصاء السابق ، وعلى هذا الاعتقاد أيضًا سار المحدثون الذين درسوا اللهجات العربية فى ضوء القراءات القرآنية ، فقرروا أنه قد «خالف ابن كثير فى تسهيل الهمز ، ومال إلى تحقيقه وهو مكى»[3]، وقرروا أيضًا أن قراءته «تخالف بيئته كل المخالفة»[4]، ولا نستطيع أن نساير هؤلاء جميعًا فى إطلاق القول بأن ابن كثير كان أكثر الهامزين ، وأنه خالف بيئته كل المخالفة ؛ ذلك لأن النصوص التى بين أيدينا تؤدى إلى خلاف ذلك ، فابن الجزرى فى كتابه النشر ، يعطينا قضية عامة إذ يقول : «والقصد أن تخفيف الهمز ليس بمنكر ولا غريب فما أحد من القراء إلا وقد روى عنه تخفيف الهمز ، إما عمومًا وإما خصوصًا»[5] ، وإذن فقد ورد عن ابن كثير تسهيل الهمز ، وهذا ما نص عليه ابن الجزرى فى موضعين آخرين : أولهما : يقول فيه «ولما كان الهمز أثقل الحروف نطقًا ، وأبعدها مخرجًا تنوع العرب فى تخفيفه بأنواع التخفيف ، كالنقل وبين بين والبدل والإدغام ونحو ذلك ، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفًا ، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم ، كابن كثير من رواية ابن فليح . . وكنافع . . وكأبى جعفر . . وكابن محيص . . وكأبى عمرو . . . وكذلك عاصم من رواية الأعشى عن أبى بكر من حيث إن روايته ترجع إلى ابن مسعود[6]» ، وثانيهما : ذكره

---

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص٨٩ نقلاً عن الحجة لأبى على ج٦ ورقة (٦٧)، وهى مخطوطة بمكتبة بلدية الأسكندرية برقم ٣٥٧٠ج.

(٢) رسالة فى القراءات السبعة لأحد تلاميذ الشاطبى ورقة (١) مخطوطة بدار الكتب المصرية.

(٣) فى اللهجات العربية ص٧٦.

(٤) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص١٠٦.

(٥) النشر ج١ ص٤٢٢.

(٦) النشر فى القراءات العشر ج١ ص٤٢١.

ابن الجزرى عند ما تحدث عن كيفية القراءة بالتحقيق وبالحدر ، حيث عرف التحقيق بأنه «عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد ، وتحقيق الهمز ، وإتمام الحركات ....»[1] ثم ذكر أسماء القراء الذين كان مذهبهم التحقيق ، ولم يذكر منهم ابن كثير ، وبعد ذلك عرف الحدر بأنه «عبارة عن إدراج القراءة ، وسرعتها ، وتخفيفها بالقصر والتسكين ، والاختلاس ، والبدل ، والإدغام الكبير ، وتخفيف الهمز ، ونحو ذلك»[2] ، ثم قال : وهذا النوع وهو الحدر مذهب ابن كثير ، وأبى جعفر ، وسائر من قصر المنفصل . . . »[3].

وإذن لا نجاوز حدّ الصواب إذا قررنا أن ابن كثير كان يقرأ بتسهيل الهمز إلى جانب قراءته بالهمز المحقق ، غاية الأمر أن مذهبه فى التسهيل لم يشتهر مثل شهرته فى التحقيق .

وتعطينا كتب القراءات تأكيدًا لذلك حيث تذكر بعض المواضع التى كان يقرؤها ابن كثير بالتسهيل ، وقد روى البزى (ت ٢٤٠هـ) أحد رواة القراءة عن ابن كثير بعض هذه المواضع ، قال أبو عمرو الدانى : -

١- روى أبو ربيعة وابن الحباب عنه (أى عن البزى) (ولو شاء الله لأعنتكم) فى البقرة ـ بتليين الهمزة ، وكذلك نص على ذلك البزى فى كتابه[4] .

٢- قرأ (ضيًا) فى الأنفال ـ بفتح الياء من غير همز ، وكذلك فى الأنبياء والقصص[5] .

٣- واختلف عنه فى قوله ﴿ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الرعد:٣١) فقرأه ـ بالهمز وتركه[6] .

---

(١) النشر ج١ ص٢٠٥.
(٢) السابق ج١ ص٢٠٧.
(٣) السابق نفسه.
(٤) المفردات السبع لأبى عمر الدانى ص٩٩.
(٥) السابق ص١٠١.
(٦) السابق ص١٠٢.

٤- وقرأ ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰقُّونَ فِيهِمْ ﴾(النحل:٢٧) ـ بغير همز هنا خاصة[١] .

٥- وقرأ ﴿ عَن سَاقَيْهَا ﴾(النمل:٤٤) ، و﴿ بِٱلسُّوقِ ﴾(ص:٣٣) ، و﴿ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ (الفتح:٢٩) ـ بغير همز فى الثلاثة[٢] .

٦- وقرأ {اللاى} هنا أى فى الأحزاب ، وفى المجادلة والطلاق ـ بإسكان الياء من غير همز[٣] .

٧- وروى الخزاعى وابن هارون عنه ﴿ ضِيزَىٰ ﴾(النجم:٢٢) ـ بغير همز[٤] .

٨- عن شبل عن ابن كثير قال رأيت رسول الله ﷺ فى المنام ، وهو يقرأ (جبريل وميكائيل) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز ، ولا أقرؤها إلا هكذا[٥] .

وزاد أحد تلاميذ الشاطبى :

٩- وقرأ ابن كثير (النبيين) مشدّدًا بغير همز ، حيث جاء جمعًا وفردًا ومصدرًا[٦] ، و(أنبياء) بالياء حيث جاء[٧] .

١٠- وقرأ ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾(آل عمران:٦٦) ـ بالمد وتخفيف الهمزة البزى، وبالقصر وتخفيف الهمزة (هنتم) على وزن فعلتم قنبل[٨] .

١١- وقرأ ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾(النساء:٣٢) بنقل حركة الهمزة إلى السين ، وحذف الهمزة وكذلك (فاسئلوا ـ وسل ، فسل) حيث جاء[٩] .

---

(١) المفردات السبع ص١٠٣.
(٢) السابق ص١٠٤.
(٣) السابق .
(٤) السابق ص١٠٥ .
(٥) السابق ص٥٥.
(٦) رسائل فى القراءات السبع ورقة (١).
(٧) السابق ورقة (٢).
(٨) رسائل فى القراءات السبع ورقة (٤).
(٩) السابق نفسه.

١٢- وقرأ {أأنتم} فى الأعراف - بتليين الهمزة الثانية (البزى) وقرأ قنبل فى الوصل (قال فرعون وامنتم) بإبدال الهمزة الأولى واوًا ، وتليين الثانية[١] .

١٣- وقرأ (يضاهون) بضم الهاء بغير همزة[٢] ، وهى فى التوبة .

١٤- وقرأ (هَيْتُ) بفتح الهاء وضم التاء ، بغير همزة[٣] ، وهى فى يوسف .

١٥- وقرأ (استايسوا) بياء بعد الألف ، وكذا (ولا تايسوا) و(إنه لا يايس) و(إذا استايس الرسل) و(أفلم يايس الذين آمنوا) فى رواية عن البزى[٤] وكلها بيوسف ، ما عدا الأخيرة فهى بالرعد .

١٦- وقرأ (يأجوج ومأجوج) بغير همز[٥] ، وهى بالكهف .

١٧- وقرأ (التناوش) بغير همزة[٦] ، وهى فى سبأ .

١٨- وقرأ (وإليه النشور أأمنتم) بإبدال الهمزة الأولى واوًا ، وتليين الثانية (قنبل) وقرأ البزى بتليين الهمزة الثانية بغير إبدال[٧] ، وهى فى سورة الملك .

١٩- وقرأ (مؤصدة) بغير همزة[٨] ، وهى فى البلد والهمزة .

٢٠- وقرأ (البرية) بياء مشددة بغير همزة[٩] ، وهى فى البينة .

٢١- (لإيلاف) بالياء[١٠] وهى فى سورة قريش .

ويضاف إلى ذلك أيضًا ، ما جاء عن ابن خالويه :

٢٢- (شعاير) بغير همزة ، بعض روايات ابن كثير[١١] ، وهى فى البقرة .

٢٣- (إلى الهداتنا) ابن كثير[١٢] ، وهى فى الأنعام .

---

(١) رسائل فى القراءات السبع ورقة (٥).
(٢) السابق نفسه.
(٣) السابق ورقة (٦).
(٤) السابق نفسه.
(٥) السابق ورقة ٧.
(٦) المرجع السابق ورقة ٩.
(٧) المرجع السابق ورقة ١٠.
(٨) المرجع السابق ورقة ١١.
(٩) المرجع السابق نفس الموضع.
(١٠) المرجع السابق نفس الموضع.
(١١) مختصر فى شواذ القراءات ص١١.
(١٢) المرجع السابق ص٣٨.

٢٤- (إنما النسىء) بغير همزة . . . ابن كثير[١] ، وهى فى التوبة .

٢٥- (دايرة السوء) عن السبعة[٢] ، وابن كثير منهم ، وهى فى التوبة .

٢٦- (ثم ايتوا ، وثم ايْتُوا) ابن كثير[٣] ، وهى فى طه .

٢٧- (من سبًا) بغير همزة ، ابن كثير فى رواية[٤] ، وهى فى النمل .

٢٨- (وأنتم حينيذ) بترك الهمز عن أهل مكة[٥] ، وهى فى الواقعة .

٢٩- (فإمّا منّا بعد وإما فِدًا) بترك الهمز والمد ابن كثير فى رواية[٦] ، وهى فى سورة محمد عليه السلام .

٣٠- وقال ابن الجزرى ، وذكر ابن مجاهد عنه (جرير بن حازم) أنه سمع ابن كثير يقرأ : (لَحْدَى الكبر) لا يهمز ولا يكسر[٧] ، وهى فى المدثر .

٣١- وقال أبو عمرو الدانى : حدثنا الفارسى قال : حدثنا أبو طاهر ، قال : حدثنا الخزاعى عن أصحابه الثلاثة ، عن ابن كثير أنه لم يهمز فاعلا ، ولا فاعلين ، ولا فاعلات ، من ذوات الياء والواو ، نحو قوله فائضين ، والقائمين ، والصائمين ، وخائف وقائم ، وصائم ، والصائمات وما أشبهه ، قال : وكذلك لم يهمز ، لا يؤاخذكم ، ولا تؤاخذنا حيث وقعا ، قال : وكذلك لم يهمز الهمزة الثانية من هؤلاء فى جميع القرآن ، ويهمز الأولى المضمومة ، قال : وكان يقرأ شعائر الله بنبرة ، والنبرة عندهم دون الهمز ، قال وكذلك خزائن وبصائر ونحوها[٨].

هذه بعض المواضع التى وقعت عليها يدى ، والتى تفيد أن ابن كثير كان من مذهبه أيضًا تسهيل الهمزة ، وهى ليست قليلة ، لأننا لو ذهبنا إلى المعجم المفهرس لإحصاء عدد الهمزات التى تدخل فى مفهوم الحديث الأخير ، لوجدنا

---

(١) مختصر فى شواذ القراءات ص٥٢.
(٢) المرجع السابق ص٥٤.
(٣) المرجع السابق ص٨٦.
(٤) المرجع السابق ص١٠٩.
(٥) المرجع السابق ص١٥٢.
(٦) المرجع السابق ص١٤٠.
(٧) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص١٩٠.
(٨) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة ١١١ ـ وقارن مع المطبوع منه ج١ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

أنها تكررت فى القرآن الكريم أكثر من خمسين وأربعمائة مرة ، ولو أضفنا إليها مواضع الهمزتين من كلمة ومن كلمتين - وابن كثير كان يسهل الثانية منهما بصفة دائمة كما عرفنا سابقًا - لانتهينا إلى أن ابن كثير لم يكن أكثر الهامزين ، ولم يخالف بيئته كل المخالفة ، بل كان له مذهبه فى تسهيل الهمزة ، اختص بروايته ابن فليح كما قال ابن الجزرى ، ونبهت إليه بعض الروايات التى تناثرت فى بطون كتب القراءات ، كما ذكرنا قريبًا ، غاية الأمر أن مذهبه فى التسهيل لم يشتهر كمذهبه فى التحقيق .

والآن أعتقد أنه من السهل أن نعلل لمذهبيه المأثورين عنه ، أما **التسهيل** :

فأولاً : لأن بيئته التى ولد فيها ، ونشأ بها ، كانت بيئة حجازية خالصة ، فهو شيخ مكة ، وإمامها فى القراءات[١] ، وهو من الطبقة الثانية من التابعين[٢] ولد بمكة سنة (٤٥هـ) فى أيام معاوية[٣] ، وتوفى بمكة سنة (١٢٠هـ) [٤]، وهو الذى بعث عثمان ﷺ مع شيخه عبد الله بن السائب بمصحف إلى أهل مكة لما كتب المصاحف ، وسيرها إلى الأمصار ، وأمره أن يقرئ الناس بمصحفه[٥].

وثانيًا : لأن شيوخه الذين أدوا إليه القراءة حجازيون ، وهم عبد الله بن السائب المخزومى صاحب النبى ﷺ،ومجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى قيس بن السائب، ودرّباس مولى بن عبّاس ، وأخذ عبد الله بن السائب عن أبىّ نفسه ، وأخذ مجاهد ودرباس عن ابن عباس عن أبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ﷺ عن النبى ﷺ[٦].

فابن كثير فى قلب هذه البيئة الحجازية ، وفى وسط هؤلاء الشيوخ المكيين الحجازيين ، لم يكن ليقرأ إلا بما يوافق طباع أهل مكة ، ومذاهبهم فى الأداء

---

(١) لطائف الإشارات ورقة (٣٢).

(٢) جامع البيان فى القراءات السبع (ورقة ١٤)- وانظر المطبوع منه ج ١ ص ١٣٤ .

(٣) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٥ .

(٤) التيسير لأبى عمرو الدانى (ص٤).

(٥) إبراز المعانى لأبى شامة ص٢١.

(٦) انظر كتاب التيسير لأبى عمرو الدانى ص٧.

اللغوى والقرآنى ، حتى صح أن يقال : « اجتماع أهل مكة على قراءة ابن كثير . . . وقراءة أهل مكة قراءة عبد الله بن كثير »[1].

أما مذهبه فى **التحقيق** ، ولماذا اشتهر به؟؟ فنقول إن ابن كثير كسائر الأئمة ، كان يجمع بين التسهيل والتحقيق ، مع اختيار التسهيل فى أول عهده بالقراءة ، لأن أهل مكة وهم مسهلون ما كانوا ليجتمعوا حول قراءة تخالف لهجتهم فى النطق ، لكن الذى حدث هو أن ابن كثير الذى ولد بمكة « أقام مدة بالعراق ثم عاد إليها »[2] ، فيحتمل أنه تأثر بألسنة أهل العراق وقراءاتهم ، وذلك ما حدَّث به أبو عمرو الدانى فى قوله : « حدثنا فارس بن أحمد قال : حدثنا عبد الله بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن موسى ، قال : حدثنى الحسين بن بشر الصوفى ، قال : حدثنا روح ابن عبد المؤمن ، قال : حدثنا محمد بن صالح ، قال : قرأ عبد الله بن كثير فى بيت شبل ، وثم يومئذ عدّة من القراء : (أو من وراء جُدُرٍ) فناداه ابن الزهير ، ما هذه القراءة؟؟ ارجع إلى قراءة قومك!! قال : (ابن كثير) إنى لما هبطت العراق خلطوا على قراءتى . قال : (أبو عمرو الدانى) فقال : (أو من وراء جِدَارٍ) [3] » ، وإذا ثبت هذا الاحتمال نقول إن ابن كثير لما رجع إلى مكة مال إلى اختيار التحقيق فى الهمز ، استحسانًا له ، ربّما لأنه رأى أن الهمز أقرب إلى طبعه اللغوى الفصيح ، لأن ابن كثير « كان فصيحًا ، بليغًا ، مفوهًا »[4] ، وهو الذى قال عنه جرير بن حازم : رأيت عبد الله بن كثير ، فرأيت رجلاً فصيحًا[5] ؛ وربما لأن القبائل العربية التى استقرت فى الحجاز مع مجىء الإسلام ، كانت ألسنتها لا تستقيم بغير الهمز فالبكرى يقول :« وجاء الله ـ عز وجل ـ بالإسلام وقد نزل الحجاز من العرب أسد ، وعبس ، وغطفان ، وفزارة ، ومزينة ، وفهم ، وعدوان ، وهذيل ، وخثعم ، وسلول ،

---

(١) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٥)ـ وانظر المطبوع منه ج ١ ص ١٣٥ .
(٢) لطائف الإشارات ورقة (٣٢)، وسراج القارئ المبتدئ ص١١.
(٣) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٥).
(٤) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) ـ وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٤ .
(٥) المفردات السبع لأبى عمرو الدانى ص٥٥.

وهلال ، وكلاب بن ربيعة ، وطيئ - وأسد وطيئ حليفان - وجهينة نزلوا جبال الحجاز[1] . . . «فأسد وعبس كانتا تستقران فى قلب الجزيرة قبيل الإسلام ، وكذلك غطفان وفزارة وهلال كانت من القبائل النجدية قبل أن تسكن الحجاز[2] . أضف إلى ذلك أن مكة على وجه الخصوص كانت قبلة أنظار العرب للحج والعمرة ، والمجاورة يفدون إليها فى كل وقت ، ومنهم البدو والأعراب ، وهؤلاء إذا قرأوا أو أقرئوا ، كانوا لا ينطقون إلا بلهجة بيئتهم ، ولا تلذّ أسماعهم إلا بها ، فلا غرابة فى أن يقرأ ابن كثير بتحقيق الهمز إذا ما تصدر لإقراء النازلين أو الوافدين إلى مكة ، ولا سيما «أن التحقيق يكون للرياضة ، والتعليم والتمرين»[3].

* * *

٤- أبو عمرو بن العلاء

هو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة[4] ، ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة (١٥٤هـ)[5]، كان «إمام البصرة ومقرئها»[6]، وكان عربيًّا صريح النسب ، ينتهى نسبه إلى «مالك بن عمرو بن تميم بن مرة ، بن أدّ بن طابخة ، بن إلياس ، ابن مضر ، بن معدّ بن عدنان»[7].

وإذن فنسبه وبيئته كانا من أهم العوامل فى حرص أبى عمرو على تحقيق جميع الهمزات ، إذا لم يدرج القراءة ، أو لم يقرأ فى الصلاة ، أو لم يقرأ بالإدغام ؛ ذلك لأن تميمًا كانت من أكثر قبائل البدو حرصًا على الهمز وتحقيقه ، بل ربما بالغت فى الهمز فعنعنت، أو همزت ما ليس بمهموز، كما سبق فى الفصل الثانى ؛

---

(١) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ج١ ص٩٠.
(٢) انظر مصور جزيرة العرب قبيل الإسلام فى أول كتاب (الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه).
(٣) لطائف الإشارات ورقة (٨٦)- وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٢٢٠ .
(٤) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٦)- وانظر المطبوع منه ج ١ ص ١٣٨ .
(٥) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٢٩٢.
(٦) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٥ .
(٧) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٢٨٨.

ولأن بيئة العراق كانت منزل البدو ، فالبصرة اختطها عتبة بن غزوان ، وتم تمصيرها سنة (١٤هـ) وضوى إليه قوم من الأعراب وأهل البوادى ، والكوفة اختطها سعد بن أبى وقاص ، وتم تمصيرها سنة (١٧هـ) ، وكان سعد قد أنزل القبائل منازلهم فى الكوفة ، وكان من بينهم تميم وأسد[١] ، وكان الغرض من إنشائهما أمران : نقصان شأن المدن العراقية ، والفارسية الأصل مثل المدائن والحيرة ، لئلا تفوق العرب قدرًا وتأثيرًا . وجعل مقامات الأعراب المقيمين فى أطراف البادية ، متوسطة بين البدو والحضر ، ليعتادوا المعيشة المدنية شيئًا فشيئًا ، وتزال رغبتهم فى الرجوع إلى براريهم ، وكراهتهم للاستقرار فى المدن[٢]. وإذن فتحقيق الهمز عند أبى عمرو كان كالاستجابة لعامل النسب والبيئة البدوية الخالصة .

وإذا عرفنا إلى جانب ذلك أن أبا عمرو «قرأ على أهل الحجاز ، وسلك طريقتهم فى القراءة[٣]، وأن مادة قراءته إنما هى عن أهل الحجاز[٤]، وأنه كان «حسن الاختيار سهل القراءة ، غير متكلف ، يؤثر التخفيف ما وجد إليه السبيل[٥]، ولا يكاد يخالف فى اختياره ما جاء عن الأئمة قبله[٦] ـ «... إذا عرفنا ذلك أدركنا السرّ فى قراءته بالتسهيل مع التحقيق ، ويفسر هذا أكثر ، أن الأئمة الذين تلقى عنهم أبو عمرو ، كانوا خليطًا من الحجازيين ، مكيين ومدنيين ، ومن العراقيين ، كوفيين وبصريين ، «فمن أهل مكة : مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة بن خالد ، وعطاء بن أبى رباح ، وعبد الله بن كثير ، ومحمد بن عبد الرحمن بن محيصن ، وحميد بن قيس الأعرج ، ومن أهل المدينة : يزيد بن القعقاع القارئ (أبو جعفر)

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ج٣ ص٥٩٠ إلى ص ٥٩٧، ج٤ ص٤٠ وما بعدها. وانظر تاريخ الكامل لابن الأثير ج٢ ص٢٠٥ وما بعدها وص٢٢٢ وما بعدها.

(٢) انظر تاريخ الآداب العربية كارل نالينو ص١٤٥ (بتصرف) الطبعة الثانية.

(٣) المفردات السبع لأبى عمرو الدانى ص١٣٣.

(٤) السابق ص١١٦.

(٥) السابق ص١١٤.

(٦) السابق ص١١١٣.

ويزيد بن رومان ، وشيبة بن نصاح . ومن أهل البصرة : الحسن بن الحسن البصرى ، ويحيى بن يعمر وغيرهما[1] » ومن أهل الكوفة : عاصم بن أبى النجود[2] . فلا غرابة أبدًا فى أن يأخذ أبو عمرو عن أئمته التسهيل والتحقيق فيقرأ بذا تارة ، وبذا تارة أخرى ، ويعن لى هنا أن أقول إن أبا عمر كان مستجيبًا لعامل بيئته أكثر من استجابته لعامل شيوخه ، لأنه لم يطرد عنه ـ كما قلنا سابقًا ـ سوى تسهيل الهمزة الثانية من المجتمعتين فى كلمة وفى كلمتين ، وتسهيل الهمزة الساكنة ، وتسهيلهما لم يكن قاصرًا على أهل الحجاز ، بل أهل التحقيق أيضًا كانوا ينفرون من اجتماع الهمزتين ، ومن هنا تسنّى لسيبويه أن يقول : ليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فتحققا[3] . وكانت العرب تنفر من الهمزة الساكنة ، ومن هنا قال الفراء : إن العرب لا تنطق بهمزة ساكنة إلا بنى تميم[4] . وخلاصة القول أن أبا عمرو مقل فى التسهيل ، مكثر فى التحقيق ، ولكل علة وسبب كما تقدم .

* * *

٥- عبد الله بن عامر

هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبى[5] ، إمام أهل الشام وقاضيهم ، كان تابعيًّا جليلاً ، إمامًا بالجامع الأموى ، فى أيام عمر بن عبد العزيز ، وقبله وبعده ، وجُمِعَ له بين الإمامةَ والقضاء ومشيخة الإقراء بدمشق ، ودمشق إذ ذاك دار للخلافة ، ومحط رحال العلماء والتابعين[6]، ولد سنة (٨هـ) وتوفى بدمشق سنة (١١٨هـ) [7] ، لقى جماعة من الصحابة رضوان الله

---

(١) التيسير لأبى عمرو الدانى ص٧ ، ٨.

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٢٨٩.

(٣) سيبويه ج٣ ص ٥٤٩. ط : تراثنا.

(٤) جامع البيان في القراءات السبع ورقة (١٠٠ ، ١٠١) ـ وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٣٦١ .

(٥) غاية النهاية في طبقات ج١ ص ٤٢٤ .

(٦) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) ـ وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٦ .

(٧) غاية النهاية في طبقات ج٢ ص ١٠٦ .

عليهم أجمعين ، وروى عنهم ، وسمع منهم ، منهم معاوية بن أبى سفيان ، وفضالة ابن عبيد ، وواثلة بن الأسقع ، وأبو الدرداء عويمر بن عامر ، عرض عليه القرآن ، وأخذ عنه القراءة ، ويقال عرض على عثمان ﷺ ، وعرض عثمان بن عفان على رسول الله ﷺ ، يقول أبو عمرو الدانى : وليس بثابت عندنا والصحيح أنه عرض على المغيرة بن أبى شهاب المخزومى ، وعرض المغيرة على عثمان ﷺ [1]، وفى هذا دلالة واضحة على أن قراءة ابن عامر مأخوذة عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وأنها متصلة بالنبى ﷺ [2] وأنه لم يتعد ـ فيما ذهب إليه ـ الأثر ، ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر[3]، بخلاف ما زعم بعض أهل النظر من أنها ليست كذلك ولا لها مادّة[4].

والذى يهمنا كثيراً أن ابن عامر كان يقرأ بالمدّ والهمز والإدغام[5] ، وأنه كان متأثراً فى قراءته بالهمز ، بالبيئة التى عاش فيها دهراً طويلاً ، نيف على عشر ومائة سنة ، فالشام كانت المنزل المحبب لدى قبائل البدو التى دخلت فى الإسلام ، ولا سيما بعد أن صارت داراً للخلافة ، من مقتل عثمان إلى سقوط دولة بنى أمية ، وفوق ذلك كان ابن عامر عربيّا يحصبيًّا ثم تميميًّا ، تربى فى أحضانهم وتأثر بلهجتهم ، ولا يتعارض مذهبه فى الهمز مع أخذه عن شيوخ حجازيين كمعاوية القرشى ، والمغيرة المخزومى ، وأبى الدرداء الأنصارى الخزرجى . . . ، لأنهم وإن كانوا كذلك إلا أنهم عاشوا حقبة غير قصيرة فى بيئة الشام ، يقرئون الناس بما سمحت به لهجاتهم وبما جرت عليه ألسنتهم ، وقد نستشف ذلك من طريقة أبى الدرداء فى إقراء الناس ، «قال سُويد بن عبدالعزيز ، كان أبو الدرداء ﷺ إذا صلى الغداة فى جامع دمشق ، اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة ، وعلى كل عشرة عريفًا ، ويقف هو فى المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط

---

(١) المفردات السبع ص ١٧٧ .
(٢) السابق ص ١٧٩ .
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص ٤٢٤ .
(٤) المفردات السبع ص ١٧٩ .
(٥) السابق ص ١٧٧ .

أحدهم رجع إلى عريفهم ، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبى الدرداء ، فسأله عن ذلك ، وكان ابن عامر عريفًا على عشرة ، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر (٣٢هـ)[١] ، فأغلب الظن أن أبا الدرداء كان يجعل كل عشرة اتفقت لهجاتهم ، وتقاربت ألسنتهم ، فى حلقة واحدة ، وكان يجعل عريفهم أقرب الناس إليهم لهجة ، حتى يكون خبيرًا بلغتهم ، فيسهل عليه تلقينهم ، ويسهل عليهم سماعه ، والأخذ عنه ، وعلى ذلك فيجوز أن ابن عامر ـ وهو يحصبى تميمى ـ كان عريفًا على جماعة من تميم وغيرهم من البدو ، ممن كانوا يألفون الهمز ، ولا يميلون إلى غيره ، ثم لما صارت إليه إمامة الإقراء اتخذ ذلك مذهبًا له . . والله أعلم .

وليس معنى ذلك أنه لم يكن يعرف التسهيل ، بل معناه أن الهمز كان اختياره حين يصل القراءة ، فإذا وقف سهل الهمزة المتطرفة فقط ، وسوف نتحدث عن ذلك فى فصل مقبل إن شاء الله تعالى .

* * *

٦- عاصم بن أبى النّجود

هو عاصم بن أبى النجود (بفتح النون) . . . ، أبو بكر الأسدى ، [٢] مولاهم ، وعلى وجه التحديد « مولى نصر بن قعين بن هنين من بنى أسد[٣] ، وبنو أسد ممن كانوا يهمزون ، بل ممن يبالغون فيه إلى حدّ إبداله من أصوات اللين . وهو الكوفى شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة[٤] ، ولد بالكوفة وتوفى بها سنة (١٢٨هـ)، أو بالسماوة ، قال شعلة : وهو موضع بالبادية[٥] ـ وهو الإمام الذى انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد أبى عبد الرحمن السلمى فى موضعه[٦] قال أبو بكر

---

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٦٠٦.

(٢) السابق ج١ ص٣٤٦.

(٣) المفردات السبع لأبى عمرو الدانى ص٣٣٢.

(٤) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٣٤٦.

(٥) لطائف الإشارات ورقة (٣٢) ـ وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٦ .

(٦) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٣٤٧.

(ابن عياش) : كان أبو عبدالرحمن (السلمى) يقرئ الناس فى المسجد ، فلما هلك ، جلس عاصم يقرئ الناس ، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن[1].

أما عن شيوخه : فاتصلت قراءته من جهة أبى عبدالرحمن (السلمى) بعلى ابن أبى طالب عن النبى ﷺ ، ومن جهة أبى مريم زَرّ بن حبيش بعبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ[2]، وشيخه الأول أبو عبد الرحمن السلمى هو الضرير مقرئ الكوفة ، انتهت إليه القراءة تجويدًا ، أخذ القراءة عن عثمان بن عفان ، أو على بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبى بن كعب رضي الله عنهم [3]، وشيخه الثانى زرّ ابن حبيش : هو الأسدى الكوفى ، عرض على عبد الله بن مسعود ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب[4]، وكذلك أخذ عاصم عن سعيد بن إياس أبى عمرو الشيبانى الكوفى (ت ٦٩هـ) [5].

وإذن كان من الطبيعى مع هذا الولاء لبنى أسد ، وهذه البيئة الكوفية الضاربة أطنابها حول الإمام عاصم ، وهؤلاء الشيوخ الكوفيين الذين قرأ عليهم وأخذ منهم مادة قراءته ، ثم تولية إمامة الإقراء بالكوفة ـ كان من الطبيعى أن يكثر عاصم من الهمز ، ويشتهر به ، حتى قال فيه شُريك بن عبد الله : كان عاصم صاحب همز ومدّ ، وقراءة شديدة[6] ، وحتى عرف عنه السكوت على الساكن الواقع قبل الهمزة إذا كان الساكن والهمزة من كلمتين نحو (مَنْ آمن) ، قال الشمونى عن الأعشى فى (وبالآخرة وما أشبهه) يسكت على اللام سكتة فيها طول قليلاً ، وقال النقّار قال لى الخيّاط : حتى يظن أنك قد نسيت ما بعد الحرف ، (لام المعرفة أو غيرها) [7] . ونحن نعلل لهذا السكوت بما علل به أبى على الفارسى سكوت حمزة حيث قال :

---

(١) المفردات السبع لأبى عمرو الدانى ص٢٣٢.
(٢) السابق ص٢٣٣.
(٣) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٤١٣.
(٤) السابق ج١ ص٢٩٤.
(٥) السابق ج١ ص٣٠٣.
(٦) المفردات السبع ص٢٣٢، والحجة لأبى على الفارسى ج١ ص١٦٠.
(٧) راجع جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١١٣). وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٣٩٨ .

« والحجة لحمزة فى ذلك أنه أراد بهذه الوقيفة التى وقفها تحقيق الهمزة ، وتبيينها ، فجعل الهمزة بهذه الوقيفة التى وقفها قبلها على صورة لا يجوز معها إلا التحقيق ، لأن الهمزة قد صارت بالوقيفة مضارعة للمبتدأ بها ، والمبتدأ بها لا يجوز تخفيفها »[1] فعاصم أيضًا كان يرمى من وراء السكوت على الساكن قبل الهمزة ، جعل الهمزة على صورة لا يجوز معها إلا التحقيق،ونظن أن حمزة أخذ ذلك عنه؛ لأنه تلميذه كما سنرى .

ولكن رغم ذلك الذى اشتهر به عاصم من الهمز ، وجدنا له مذهبًا فى التسهيل اختص بروايته الشمونى ومحمد بن غالب عن الأعشى عن أبى بكر بن عياش عن عاصم ، وإليك هذا المذهب باختصار[2] :

١- روى الشمونى ومحمد بن غالب عن الأعشى عن أبى بكر عن عاصم : أنه كان يسهل الهمزة الساكنة سواء أكانت فاء أم عينا أم لاما ، سكنت للأمر أو للجزم أو لتوالى الحركات ، كانت فى اسم أو فعل نحو (يؤمنون . . . الذى ائتمن . .) إلا عدة أحرف فإنه همزها ، وهى : فادارأتم ، والرؤيا ، ورؤياك ، ورؤياى ونبئنا بتأويله ، ويأجوج ومأجوج ، وأثاثا ورئيا .

٢- ورويا أيضًا عن الأعشى عن أبى بكر تسهيل الهمزة المتحركة ، إذا كانت فاء وانفتحت وانضم ما قبلها ، نحو (لا تؤاخذنا . . .) إلا أربعة أحرف وهى : (فليؤد) بالبقرة ، (يؤدّه ، لا يؤده) بآل عمران ، (أن تؤدّوا) بالنساء ـ وزاد أبو عمرو الدانى (والمؤلفة) بالتوبة ، (يؤلف) بالنّور ـ فقد جاء فيها التخيير فى الهمز وتركه عن الأعشى ، وروى ابن غالب ترك همزها .

٣- ورويا كذلك أنه كان يسهل الهمزة المفتوحة إذا انكسر ما قبلها فى خمسة أصول مطردة ، وخمسة أحرف ، أما الأصول فهى : (رئا الناس) فى البقرة

---

(١) الحجة لأبى على الفارسى ج١ ص٢٩٦.

(٢) راجع جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (٩٩) . وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

والنساء والأنفال ، (ولقد استهزئ) حيث وقع ، (وإذا قرئ) حيث وقع (لنبوئنهم) فى النحل والعنكبوت ، (بالخاطئة) فى الحاقة ، (خاطئة) فى العلق ، وأما الأحرف فهى : (لَمَنْ ليبطئن) فى النساء ، (خاسئا) فى الملك ، (ملئت) فى الجن ، (ناشئة) فى المزمل ، (شانئك) فى الكوثر .

٤- خير الشمونى فى الهمز وتركه فى أصلين : ما جاء من لفظ (تَأَخَّرَ) حيث وقع ، وما جاء من لفظ (فئة) مفردًا أو مثنى أو جمعًا ، واختار الهمز ، ورواه ابن غالب بالهمز .

٥- روى الشمونى (الفؤاد ، فؤادك ، فؤاد أم موسى) بالهمز ، ورواه ابن غالب بترك الهمز .

٦- روى الشمونى (تَبوَّءوا الدار) فى الحشر ، بغير همز ، وضم الواو ضمة مختلسة ، ورواه ابن غالب بالهمز .

٧- روى الشمونى وابن غالب (من إستبرق) فى الرحمن ، بإلقاء حركة الهمزة على النون وتحريكها بها ، وقال النقاش عن الخياط عن الشمونى عن الأعشى عن أبى بكر أنه كان مرة يصلها ومرّة يقطعها .

٨- وروى الشمونى (فإن أحصرتم) فى البقرة ، بإلقاء حركة الهمزة على النون .

٩- وعن الشمونى أيضًا (قل اتخذتم) في البقرة موصولة ، (أن أدّوا) فى الدخان موصولة مخففة ، وروى عنه أيضًا (موطئًا) فى التوبة بغير همز .

١٠- وعنه أيضًا (فَمن شاء اتخذ) حيث وقع بترك همزة شاء ، وقال فى (بأن ، بأنهم) يجعل موضع الهمزة فتحة ، وقال فى (سنقرئك) بغير همزة ويظهر الياء ويرفعها . اهـ ثم قال أبو عمرو الدانى : «وروى سائر الرواة (أى غير الأعشى) عن أبى بكر عن عاصم : تحقيق الهمز فى جميع ما تقدم من ساكن ومتحرك ، إلا عبيد بن نعيم ، فإنه حكى عن عاصم أنه كان لا يهمز (يؤمنون) قال : وربما سمعتها تقرأ عليه بإشمام الهمز قليلاً»[1].

---

(١) جامع البيان فى القراءات السبع ورقة (١٠٠) - وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٣٥٨ .

وهكذا كان لعاصم مذهبان : -

أولهما : تحقيق الهمز وهو المشهور الذى رواه عنه سائر الرواة .

ثانيهما : تسهيل الهمزة فى بعض المواضع ، وهو غير مشهور اختص بروايته الشمونى ومحمد بن غالب عن الأعشى عن أبى بكر . وإذا كنا قد عللنا للمذهب الأول فى يسر وسهولة ، حيث كان موافقًا لما عرف عن أشياخ عاصم وبيئاتهم فهل يمكن التماس التوجيه للمذهب الثانى؟؟

أولاً : وقبل البحث عن سر وجود التسهيل فى قراءة عاصم ، ينبغى أن نلفت النظر إلى أن الشمونى ، ومحمد بن غالب والأعشى ، وأبا بكر بن عياش ، من الثقات الضابطين وأن روايتهم فى غاية الصحة ، ولا يشك فيها ، وها هو ذا محمد ابن الجزرى يقول عن الشمونى : إنه « مقرئ ضابط ، مشهور ، وهو أجل أصحاب الأعشى وأحذقهم »[١] ، ويقول عن محمد بن غالب : « مقرئ متصدر »[٢].....

ويقول عن الأعشى : إنه أجل أصحاب أبى بكر ، قال أبو بكر النقاش عنه ، كان الأعشى صاحب قرآن وفرائض ، ولست أقدم عليه أحدًا فى القراءة على أبى بكر ، وقد قرأ عليه القرآن مرتين[٣] ، « أما أبو بكر بن عياش فما ظنك به وهو الذى قال له عاصم : « ألا تقرأ علىّ كما قرأ يحيى على عبيدة بن نضلة كل يوم آية »[٤] ، وهو الذى « تعلم القرآن من عاصم خمسا خمسا كما يتعلم الصبى من المعلم وذلك فى نحو من ثلاثين سنة »[٥]... لا شك أنه كان عالمًا عاملاً وكان ثقة ، كيف لا وهو الذى لم يفرش له فراش خمسين سنة ، وختم فى زاويته ثمانى عشرة ألف ختمة[٦]!!؟

---

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء ج٢ ص١١٤.

(٢) السابق ج٢ ص٢٢٧.

(٣) السابق ج٢ ص٣٩٠.

(٤) السابق ج١ ص٤٩٨.

(٥) سراج القارئ المبتدئ لابن القاصح ص١٣.

(٦) لطائف الإشارات (المطبوع) ج١ ص١٠٣ وغاية النهاية ج١ ص٣٢٥.

ثانيًا : يبدو أن تسهيل الهمزة فى قراءة عاصم مرجعه أمران : -

أ- الأول : وهو يتصل بالبيئة الكوفية التى كانت محط رحال البدو من تميم وأسد وغيرهم ، وهؤلاء وإن كانوا يحققون الهمزة ، إلا أنهم كانوا يستسيغون تسهيل الهمزة الساكنة ، لجريانها على سنن واحد وقياس موحد فى التسهيل ، ولذا صح للفراء ـ كما ذكرنا عنه سابقًا ـ أن يقول عن تسهيل الهمز الساكن إنه لغة العرب جميعًا فيما عدا بنى تميم ، وإذا تجاوزنا الهمز الساكن فى تسهيل عاصم ، ونظرنا فى بقيّة ما يسهله ، وجدناه قليلاً ، على أنه يمكن التعليل له بأن عاصمًا وقد كان من أسبق قراء العراق زمنًا ، عاش فى فترة لم تكن القبائل البدوية النازلة قد تمت سيطرتها اللغوية فى الكوفة ، ولم تكن قد تناسلت وتكاثرت بحيث تؤثر فى ألسنة الناطقين ، وفى اختيار القراء تأثيرًا كاملاً ، لذلك نفترض أن عاصمًا تأثر بعض التأثر بالقراء الحجازيين الفاتحين ، ويظهر هذا التأثر من جعل أحمد بن حنبل قراءة عاصم تالية لقراءة أهل المدينة ، عندما سأله ابنه عبد الله «أى القراءة أحب إليك؟ قال : قراءة أهل المدينة ، فإن لم تكن فقراءة عاصم»[1] ، فاقتران القراءتين فى ذهن أحمد ابن حنبل له أسبابه ، كالاشتراك بينهما فى بعض مواضع التسهيل ، أو فى الفتح الذى هو ضد الإمالة ، لأن عاصمًا كانت قراءته فى الفتح أقرب إلى قراءة أهل المدينة[2] ، «أوفى عد آيات المصحف فقد روى يحيى بن آدم عن أبى بكر قال : لم يكن عاصم يعد «ألم» آية ، ولا «حم» آية ، ولا «كهيعص» آية ، ولا «طه» آية ، ولا نحوها ، لم يكن يعد شيئًا من هذا آية ، قلت (أى قال ابن الجزرى) : وهذا خلاف ما ذهب إليه الكوفيون فى العدد[3] ، كل ذلك يوضح تأثر عاصم بقراءة أهل المدينة ، ويرجح ما افترضناه من تأثره بهم فى التسهيل .

---

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٣٤٨.

(٢) الإمالة فى القراءات واللهجات العربية ص١٢١.

(٣) انظر السابق، وغاية النهاية ج١ ص٣٤٨.

ب- الأمر الثانى : وهو يتصل بشيوخ عاصم الذين أدوا إليه القراءة ، وهى - كما ذكرنا سابقًا تتصل بأبى عبد الرحمن السلمى ، الذى قال عنه عاصم : « ما أقرأنى أحد حرفًا إلا أبو عبد الرحمن السلمى »[1]، فهو ينتسب إلى قبيلة حجازية وولد فى حياة النبى ﷺ ، وأخذ القراءة عن عثمان وعلى وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبى بن كعب رضي الله عنهم وهؤلاء كلهم حجازيون أيضًا ، وكلهم أقام بالمدينة إقامة طويلة ، ولذلك يغلب على الظن أن التسهيل فى قراءة عاصم كان أثرًا من آثار قراءة السلمى وشيوخه الحجازيين ، أما شيخاه الآخران فهما : زَرّ بن حبيش الأسدى الكوفى[2] ، وأبو عمر الشيبانى الأسدِىُّ الكوفى[3] ، ومعلوم أن بنى أسد يحققون ويبالغون فى الهمز ، ومن هنا يمكن القول بأن التحقيق فى قراءة عاصم يرجع إلى هذين ، ويعتبر أثرًا من آثار القراءة عليهم .

بقى **سؤالان** : لماذا اشتهر التحقيق دون التسهيل عن عاصم؟؟ ولماذا جاء التسهيل من طريق أبى بكر بن عياش ، ولم يأت من طريق حفص عن عاصم؟؟

الواقع أن عاصمًا لم يخرج عن طريقة القراء فى أنهم كانوا يجمعون فى قراءاتهم وجوهًا كثيرة ، يُقرئون بها من لم يستطع القراءة بغيرها ، وإلى جانب هذا يكون لهم اختيارهم الذى يميلون إليه ، لهذا نفترض أن عاصمًا كان يجمع فى قراءته الهمز والتسهيل ، ثم اختار الهمز ، وقد يعين على مثل هذا التفسير أن شيخه أبا عبدالرحمن السلمى الذى نرجح أن التسهيل فى قراءة عاصم من آثاره مات سنة (٧٤هـ) [4] ، بينما امتد العمر بشيخه زرّ بن حبيش حتى سنة (٨٢هـ) [5] ، وبشيخه أبى عمرو الشيبانى حتى سنة (٩٦هـ) [6] ، فالأمر إذن يحتمل أن عاصمًا كان قد عدل عن التسهيل بموت شيخه أبى عبد الرحمن ، واختار الهمز الذى كان مذهبًا

---

(١) المفردات السبع ص٣٣٣.
(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٢٩٤.
(٣) السابق ج١ ص٣٠٣.
(٤) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٤١٣.
(٥) السابق ج١ ص٢٩٤.
(٦) السابق ج١ ص٣٠٣.

لشيخيه المعمرين ، وبذلك نفسر شهرة التحقيق دون التسهيل ، أما مجيء التسهيل من طريق أبى بكر فقط ، فذلك أمر يتصل بالطريقة التى تلقى بها أبو بكر عن عاصم حيث كان قد تعلم القرآن من عاصم خمسًا خمسًا ، كما يتعلم الصبى من المعلم ، وذلك فى نحو من ثلاثين سنة ، أو كما قال له عاصم : «ألا تقرأ علىّ كما قرأ يحيى بن وثاب على عبيدة بن نضلة فى كل يوم آية» ، فهذه الطريقة تعنى أنه تلقى القراءة عن شيخه بأوجه كثيرة ، بل بكل ما يعرف شيخه من قراءات التسهيل والتحقيق وغيرهما ، (ولذلك قدّم الشاطبىُّ وأكثر المؤلفين شعبة لكونه كان عارفًا بالقراءات والحديث وقدم صاحبُ التَّيْسير حفصًا لكونه كان أتقن لقراءة عاصم (أى التى كان يختارها) [1] ، والله أعلم .

* * *

٧- الإمام حمزة

كان الإمام حمزة يصل القراءة بتحقيق الهمزة المفردة والهمزتين المجتمعتين بجميع أنواعهما ، ويمكن تعليل ذلك عن طريق النظر فى بيئته وشيوخه أيضًا ، أما بيئته فنعرفها مما قيل فى ترجمته من أنه «أبو عمارة الكوفى التميمى» مولاهم وقيل من صميمهم ، الزيّاتُ ، أحد القراء السبعة ، ولد سنة (٨٥هـ) وأدرك الصحابة بالسن ، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم [2] ، فهو من تابعى التابعين ، انتهت إليه القراءة بعد عاصم ، وتوفى بحلوان (١٥٤هـ) أيام المنصور أو المهدى قاله الجعبرى ، وقال ابن الجزرى (١٥٦هـ) على الصواب ، وقدم على الكسائى لأنه شيخه . [3]

أما شيوخ حمزة : فهم سليمان الأعمش ، وحمران بن أعين ، وأبو إسحاق السبيعى ، ومحمد بن عبدالرحمن بن أبى ليلى ، وطلحة بن مصرف ، ومُغيرة

---

(١) الإضاءة فى بيان أصول القراءة ص٧٢.

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٢٦١.

(٣) لطائف الإشارات ورقة (٣٣) ـ وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٧ .

ابن مقسم ، ومنصور ، وليث بن أبى سليم ، وجعفر بن محمد الصادق ، وهؤلاء كلهم ـ فيما عدا جعفر الصادق ـ كوفيون[1].

وإذن كان من المألوف وهذه البيئة وهذا النسب وهؤلاء الشيوخ أن يكون لحمزة مذهبه الذى ذكرناه فى تحقيق الهمزة حال الوصل ، أما فى حال الوقف فله مذهب آخر سوف نذكره ونعلل له قريبًا إن شاء الله تعالى ، ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن ما روى عن أحمد بن حنبل وعبد الله بن إدريس من كراهة قراءة حمزة لِمَا فيها من الإفراط فى المد والهمز وغير ذلك من التكلف ، محمول على قراءة من سمعا منه ، وما آفة الأخبار إلا رواتها ، إذ كيف يكون ذلك وقد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه ، ويقول لمن يفرط عليه فى المد والهمز لا تفعل ، أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص ، وما كان فوق الجعودة فهو قطط ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة!! لا يمكن أن يتأتى ذلك وقد قيل عنه : ما قرأ حمزة حرفًا من كتاب الله إلا بأثر[2].

* * *

٨ — الكسائى

هو على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدى مولاهم[3] . توفى سنة (١٨٩هـ) عن سبعين سنة ، كان إذا قرأ أو تكلم ، كأن ملكًا ينطق على فيه ، وكان يجلس على منبر بالكوفة ، ويقرأ فتضبط المصاحف بقراءته ، وتؤخذ الألفاظ منه[4]، وكانت مادة قراءته من قراءة حمزة بن حبيب الزيَّات ، لأنه سلك فيها طريقه ، واقتفى بآثاره ، ولم يخالفه إلا فى أحرف يسيرة ، رواها بإسناده عن النبى ﷺ من

---

(١) انظر غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٣١٥، ٢٦١، ٦٠٢، ج٢ ص١٦٥ ج١ ص٣٤٣، ج٢ ص٣٠٦، ٣١٤، ٣٤، على الترتيب .

(٢) راجع السابق ج١ ص٢٦٣.

(٣) السابق ج١ ص٥٣٥.

(٤) لطائف الإشارات ورقة (٣٣) ـ وانظر المطبوع منه ج ١ ص ٩٧ .

أصحابه[1] ، قال أبو عبيد فى كتاب القراءات كان الكسائى يتخيّر القراءات ، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضًا ، وكان من أهل القراءة ، وهى كانت علمه وصناعته ، ولم يجالس أحدًا كان أضبط ولا أقوم بها منه[2] ، «انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزّيات[3]، ثم إنه لما عرض على حمزة خرج إلى البدو ، وشافه العرب وأقام عندهم ، حتى صار كواحد منهم ، ثم دنا إلى الحضر وقد علم اللغة[4] .

وأما شيوخه غير حمزة فهم كثيرون منهم محمد بن أبى ليلى ، وعيسى بن عمر ، وأبو بكر بن عياش ، والمفضل بن محمد الضَّبِّى ، والأعمش وهؤلاء كلهم كوفيون[5]، إذن فما ظنك برجل نشأ بالكوفة ، وتربى فى أحضان بنى أسد ، وخرج إلى البدو وشافههم ، وتتلمذ على شيوخ عاشوا فى بيئة الهمز ، لابد أن يكون كما قال عنه شيبة بن مهران : كان الكسائى صاحب همز شديد ، وتحقيق فى القراءة[6].

* * *

خلاصة هذا الفصل : -

إذا كنا قد انتهينا فى الفصل الثانى ـ الذى عرضنا فيه للقبائل العربية بين الهمز والتسهيل ـ إلى أن القبائل الحجازية هى التى تسهل ، وأن القبائل البدوية هى التى تهمز ، وإلى أن ما جاء مخالفًا لتلك القاعدة يكون من باب التأثر بلهجات الغير ، أو من باب تقارض اللهجات . . . إذا كنا هنالك قد انتهينا إلى ذلك ، فإنّ هذه

---

(١) المفردات السبع ص٣٥٧.

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٥٣٨.

(٣) السابق ج١ ص٥٣٥.

(٤) غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٥٣٨.

(٥) انظر السابق ج٢ ص١٦٥، ج١ ص٦١٢، ج١ ص٣٢٥، ج٢ ص٣٠٧، ج١ ص٣١٥، على الترتيب.

(٦)المفردات السبع ص٣٥٠.

النتيجة تتأكد فى هذا الفصل الذى درسنا فيه قراءات القراء بين الهمز والتسهيل ، حيث وجدنا أن القراء يمثلون بيئاتهم التى عاشوا فيها تحقيقًا وتسهيلاً وأن ما كان من مخالفة عند أحدهم لما هو شائع فى بيئته ، فإنما هو أيضًا لتأثره بما هو حادث فى بيئة أخرى ، وطريق التأثر هنا وهناك كان هو الامتزاج والاختلاط بالبيئة الأخرى ، وذلك واضح من تأثر ابن كثير بقراء العراق لما اختلط بهم ، وأقام بينهم مدة ، ومن تأثر أبى عمرو وعاصم ببعض الشيوخ الحجازيين ، وسوف يتضح هذا التأثر أكثر فى وقف حمزة وهشام ، وذلك ما سوف ندرسه فى الفصل المقبل إن شاء الله تعالى .